الحكومة الليبية
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للمعاهد الدينية

# العقيدة

للسنة الثالثة
بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية

إعداد لجنة المناهج

الطبعة الثانية
1444 – 1445 هجري
2022 – 2023 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة، هو الدين الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده؛ إذ هو اعتقاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فمن خالفهم في ذلك فقد عرّض نفسه لعقاب الله الشديد ومقته وغضبه.

من أجل ذلك نضع هذا الكتاب بين أيدي أبنائنا جيل المستقبل؛ ليكون عوناً لهم على معرفة عقيدة الإسلام الصافية النقية من كل شرك وبدعة، بحيث يكون مرجعاً لهم في معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في «أصول الدين».

وقد توخينا فيه الإيجاز في العبارة، واليسر في الأسلوب؛ ليناسب المرحلة العمرية لأبنائنا المنتسبين للمعاهد التخصصية «بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية».

وقد حرصنا على ذكر الأدلة في كل مسائل الكتاب؛ لربط طلابنا بالدليل الصحيح، وليعلموا أن المعتقد الصحيح مصدره الكتاب والسنة بفهم السلف الكرام، ليس الأوهام والخرافات ولا المنامات والقصص المختلقات.

**والله من وراء القصد**

# مفردات الوحدة الأولى

- الإيمان بأسماء الله وصفاته.
- قواعد في أسماء الله تعالى.
- قواعد في صفات الله تعالى.
- قواعد في أدلة الأسماء والصفات.
- ذكر الأسماء الحسنى وأدلتها من الكتاب والسنة.
- أمثلة في إثبات بعض صفات الله تبارك وتعالى.

# الإيمان بأسماء الله وصفاته

**الإيمانُ بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي:**

١- الإيمان بوجود الله تعالى.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

**وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية،** وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

**وتوحيد الأسماء والصفات:** هو أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وكذلك أَنْ نُثبتَ لله عَزَّوَجَلَّ الأسماء الحسنى التي جاءت في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ولا يجوز لأحد أن يسمي الله باسم أو بصفة لم تَرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة؛ لأن هذا الباب توقيفيٌّ، لا يقال فيه إلا بما جاء ذكره في القرآن والسنة.

وتوحيد الأسماء والصفات منزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على

بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

**فدعاء المسألة**: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك.

**ودعاء العبادة:** أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

## ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات:

**أولاً:** تحقيق ما أوجب الله جَلَّ وَعَلَا من الإيمان به، فالله جَلَّ وَعَلَا أمرنا بالإيمان به، فمن آمن بالأسماء والصفات جميعا كما أخبر الله جَلَّ وَعَلَا بها، وأخبر بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد حقق هذا الإيمان.

**ثانياً:** عبادة الله وحده لا شريك له، فالإيمان بالأسماء والصفات يقود إلى توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ حق توحيده، وأن يعبد وحده لا شريك له.

**ثالثاً:** المؤمن بالأسماء والصفات، يلين لسانه بحسن الثناء على الله، ومن أكثر الثناء على الله جَلَّ وَعَلَا قَرُب منه، وأحس في قلبه اللذة والحلاوة لمناجاته.

**رابعاً:** أنه يفتح باب السؤال، والدعاء الحسن لله جَلَّ وَعَلَا في مطالبك، لأن الله يقول ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ﴾ [الأعراف:١٨٠]، أنه يفتح لك باب السؤال، والدعاء الحسن لله جَلَّ وَعَلَا في مطالبك؛ لأن الله يقول، فإذا سألت الله بما يناسب مطلوبك، من أسمائه وصفاته، تكون قد توسلت إلى الله جَلَّ وَعَلَا هو أن يتوسل إليه جَلَّ وَعَلَا بأعظم وسيلة، لأن أعظم ما يتوسل به إلى الله جَلَّ وَعَلَا هو أن يتوسل إليه– جل وعلا– بالله.

**خامساً**: العلم بالكتاب والسنة، وهي أعظم العلوم، فالكتاب والسنة أكثر ما فيه وصف لله جَلَّ وَعَلَا وبيان ما يستحقه سبحانه، وبيان ما له جَلَّ وَعَلَا ولذلك تجد أن أكثر الآيات مختومة بأسماء الله وصفاته، فإذا لم يكن عندك علم بالأسماء والصفات التي ينتج عنها الإيمان، فسيكون هناك نقص في معرفة الآيات، وبالتالي سيكون هناك نقص في معرفتك بالقرآن ومعرفتك بالسنة، وهكذا.

**سادسا**: التدبر في ملكوت الله جَلَّ وَعَلَا، فإذا عظم علم بالأسماء والصفات، نظرت إلى الملكوت بنظرة أخرى، فنظرت إلى مخلوقات الله تعالى على أنها كلها تدل على الله جَلَّ وَعَلَا.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان منزلة العارف بأسماء الله وصفاته "... فإنه كلما كان بالله أعرف كان له أشد خشية، وكلما كان به أجهل كان أشد غرورا به وأقل خشية".

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى؛ سنتحدث في الدرس القادم عن القواعد المتعلقة بأسماء الله وصفاته.

# الأسئلة

س١: للإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَرْكان. اذكرها.

س٢: عرف توحيد الأسماء والصفات، وكيف نثبته؟

س٣: ما الفرق بين دُعاء المسألة ودعاء العبادة؟ وما فائدته؟

س٤: اذكر ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات.

# قواعد في أسماء الله تعالى

## القاعدة الأولى:

### أسماء الله تعالى كلها حسنى

أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال.

الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

ومثال آخر: "العليم" اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾.

العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

ومثال ثالث: "الرحمن" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته.

ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾.

**والحُسْنُ في أسماء الله تعالى** يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا.

يكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم.

والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف.

وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.

## القاعدة الثانية:

### أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلَّت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

ف "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

فإن الآية **الثانية:** دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة. ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر.

وهذا أمر أبينُ مِنْ أَنْ يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا. وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء.

وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

**أما السمع** فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْـمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْـمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾.

ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

**وأما العقل**: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا في غيره.

وبهذا أيضا علم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ﴾ يريدون: مرور الليالي والأيام .

فأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أن الذين يسبون الدهر إما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" ما فسره بقوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب (بكسر اللام) هو المقلَّب (بفتحها).

وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادًا به الله تعالى.

## القاعدة الثالثة:

### أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

**أحدها**: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

**الثاني**: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

**الثالث**: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى ﴿والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

### وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

**أحدهما**: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوَجَلَّ.

**الثاني**: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عَزَّوَجَلَّ.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الحياة صفة له.

### القاعدة الرابعة:

### دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

**دلالة المطابقة**: دلالة اللفظ على جميع مدلوله، وعلى هذا، فكل اسم دال على المسمى به، وهو الله، وعلى الصفة المشتق منها هذا الاسم.

**ودلالة التضمن**: دلالة اللفظ على بعض مدلوله، وعلى هذا، فدلالة الاسم على الذات وحدها أو على الصفة وحدها من دلالة التضمن.

**ودلالة الالتزام**: دلالته على شيء يفهم لا من لفظ الاسم لكن من لازمه ولهذا سميناه: دلالة الالتزام.

مثل كلمة الخالق: اسم يدل على ذات الله ويدل على صفة الخلق.

إذاً، فباعتبار دلالته على الأمرين يسمى دلالة مطابقة، لأن اللفظ دل على جميع مدلوله، ولا شك أنك إذا قلت: الخالق، فإنك تفهم خالقاً وخلقاً.

وباعتبار دلالته على الخالق وحده أو على الخلق وحده يسمى دلالة تضمن، لأنه دل على بعض معناه، وباعتبار دلالته على العلم والقدرة يسمى دلالة التزام، إذ لا يمكن خلق إلا بعلم وقدرة، فدلالته على القدرة والعلم دلالة التزام، ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

وحينئذ، يتبين أن الإنسان إذا أنكر واحداً من هذه الدلالة، فهو ملحد في الأسماء.

ولو قال: أنا أؤمن بدلالة الخالق على الذات، ولا أؤمن بدلالته على الصفة، فهو ملحد في الاسم.

لو قال: أنا أؤمن بأن (الخالق) تدل على ذات الله وعلى صفة الخلق، لكن لا تدل على صفة العلم والقدرة. قلنا: هذا إلحاد أيضاً، فلازم علينا أن نثبت كل ما دل عليه هذا

الاسم، فإنكار شيء مما دل على الاسم من الصفة إلحاد في الاسم سواء كانت دلالته على هذه الصفة دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام.

ولنضرب مثلاً حسياً تتبين فيه أنواع هذه الدلالات: لو قلت: لي بيت.

فكلمة (بيت) فيها الدلالات الثلاث، فتفهم من (بيت) أنها تدل على كل البيت دلالة مطابقة. وتدل على مجلس الرجال وحده، وعلى الحمامات وحدها، وعلى الصالة وحدها، دلالة تضمن، لأن هذه الأشياء جزء من البيت ودلالة اللفظ على جزء معناه دلالة تضمن. وتدل على أن هناك بانياً بناه دلالة التزام، لأنه ما من بيت، إلا وله بان.

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله تعالى فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صح أن يكون لازما فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقٌّ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون مرادًا.

## القاعدة الخامسة:

## أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

## القاعدة السادسة:

## أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين

لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المشهور " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا "، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: " بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا "[(١)].

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به.

فأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة" فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك.

إذًا فمعنى الحديث: أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة.

وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنة" جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة.

ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة.

ولم يصح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (تعيينها ليس من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتفاق أهل المعرفة بحديثه) وقال قبل ذلك: (إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه) اهـ. وقال ابن حجر في "فتح الباري":

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٢٤٦)

(ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج).

ولما لم يصح تعيينها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع.

ومما يلي ما نثبت من أسماء الله في الكتاب والسنة.

فمن كتاب الله تعالى:

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| الله | الأحد | الأعلى | الأكرم | الإله | الأوّل |
| الآخر | الظّاهر | الباطن | البارئ | البرّ | البصير |
| التواب | الجبار | الحافظ | الحسيب | الحفيظ | الوهاب |
| الحق | المبين | الحكيم | الحليم | الحميد | الحيّ |
| القيّوم | الخبير | الخالق | الخلّاق | الرؤوف | الرحمن |
| الرّحيم | الرّزاق | الرّقيب | السّلام | السّميع | الشّاكر |
| الشّكور | الشّهيد | الصّمد | العالم | العزيز | العظيم |
| العفو | العليم | العليّ | الغفّار | الغفور | الغني |
| الفتّاح | القادر | القاهر | القدّوس | القدير | القريب |
| القويّ | القهّار | الكبير | الكريم | اللّطيف | المؤمن |
| المتعالي | المتكبّر | المتين | المجيب | المجيد | المحيط |
| المصوّر | المقتدر | المقيت | الملك | المليك | المولى |
| المهيمن | النّصير | الواحد | الوارث | الواسع | الودود |
| الوكيل | | | الوليّ | | |

ومن سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| الجميل | الجواد | الحكم | الحييُ | الرب |
| الرفيق | السُّبوح | السيد | الشافي | الطيب |
| القابض | الباسط | المقدم | المؤخر | المحسن |
| المعطي | المنان | الستير | الوتر | |

**ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافا** مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام.

## القاعدة السابعة:

### الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

**الأول**: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

**الثاني**: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

**الثالث**: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

**الرابع**: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن

أسماء الله تعالى مختصة به، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وقوله: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وقوله: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عَزَّوَجَلَّ ميل بها عما يجب فيها.

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

# الأسئلة

س١: اذكر القواعد المتعلقة بأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع شرح مختصرٍ لكلِّ قاعدة.

س٢: اسم (الرحمن) يتضمن الرحمة الكاملة. وضح ذلك.

س٣: هل الدهر من أسماء الله؟ ولماذا؟

س٤: اذكر مثالا وضُع فيه الحُسُن في كل اسمٍ على انفراده ومثالا باعتبار جمعه إلى غيره.

س٥: ما الفرق بينَ دلالة أسماء الله على وصفٍ متعدٍ ووصف غير متعد؟

س٦: اذكر أنواع الدلالات على أسماء الله مع ضرب مثالٍ يُبينُها.

س٧: لماذا نقتصر في إثبات أسماء الله ونتوقف على ما جاء في الكتاب والسنة؟

س٨: هل أسماء الله تسعة وتسعون اسما؟ ولماذا؟

# قواعد في صفات اللّه تعالى

## القاعدة الأولى:

### صفات اللّه كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه

كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

**أما السمع:** فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ولله الْـمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **والمثل الأعلى:** هو الوصف الأعلى.

**وأما العقل:** فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾، وعلى قومه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

**وأما الفطرة:** فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، وقوله عن موسى ﴿فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدجال: "إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور"، وقال: "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا".

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

ونزّه نفسه عما يصفون به من النقائص، فقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ الله مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من

يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد.

وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الله والله خَيْرُ الْـمَاكِرِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا الله مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: فأمكن منهم، ولم يقل: فخانهم. لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقا.

وبذا عرف أنَّ قول بعض العوام: خانَ اللهُ مَنْ يخون أو قولهم خانك الله ورسوله، منكر فاحش يجب النهي عنه.

## القاعدة الثانية:

### باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك:

لأنَّ كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، وقال:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الله فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ﴾.

وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا".

فَنَصِف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

## القاعدة الثالثة:

### صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية.

**فالثبوتية**: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

**فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل.**

**أما السمع**: فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾.

**فالإيمان بالله يتضمن**: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ.

**وأما العقل**: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد.

فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرًا ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عَزَّوَجَلَّ، فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله تعالى، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبرًا، وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

**والصفات السلبية:** هي التي نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم.

وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فهم لا يظلمون لأنهم عَاجزون عن ذلك، وكذلك لا يظلمونَ الناس لأنهم لا يستطيعون ظلم الناس لعجزهم فلو تمكنوا لظلموا وغدروا.

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

وهذا أيضا فيه ذم لهم وهو أنهم لم يتركوا الشر خشيةً بل عجزا وذلا.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾، لأن العجز سببه: إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

## القاعدة الرابعة:

### الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال

فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

**أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:**

**الأولى**: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

**الثانية**: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾.

**الثالثة**: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

## القاعدة الخامسة:

### الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

**فالذاتية**: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة.

ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

**والفعلية**: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

**وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين** كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

## القاعدة السادسة:

### يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

**أحدهما**: التمثيل

**والثاني**: التكييف.

**فأما التمثيل:** فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

**أما السمع**: فمنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

**وأما العقل فمن وجوه:**

**الأول**: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى.

**الثاني**: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟ وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

**الثالث**: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم.

فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

**وأما التكييف:** فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

**أما السمع**: فمنه قوله تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾، وقوله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾.

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

**وأما العقل**: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه.

وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان.

ولهذا لما سئل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ أطرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه).

ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان.

وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

## القاعدة السابعة:

### صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها

فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دَلَّ الكتاب والسنة على ثبوته.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتجاوز القرآن والحديث). انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.

**ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:**

**الأول**: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

**الثاني**: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك. انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

**الثالث**: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" الحديث.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْـمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْـمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.

# الأسئلة

س١: اذكر القواعد المتعلقة بصفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع بيان مختصر لكل قاعدة.

س٢: هل يَثبت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اسم (الجائي-الآتي-الباطش) ولماذا؟

س٣: النفي ليس بكمال إلا أن يتضمنَ ما يدلُّ على الكمال. ناقش ذلك مع ضرب أمثلة.

س٤: هل الصفات الثبوتية أكثر أم السلبية؟ وما الأحوال التي تذكر فيها الصفات السلبية؟

س٥: هل الكلام صفة ذاتية أم فعلية؟ بين ذلك بالتفصيل.

س٦: كيف تردّ بالسمع والعقل على الممثلة والمكيفة؟

س٧: اضرب مثالا لكل نوع من الآتي:

أ) الصفات الذاتية.

ب) الصفات الذاتية الخبرية.

ج) الصفات الفعلية.

د) الصفات الذاتية الفعلية.

# قواعد في أدلة الأسماء والصفات

## القاعدة الأولى:

**الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى** وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلى هذا: فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه.

وأما معناه: فيفصل فيه؛ فإن أريد به حقٌّ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنىً لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ وجب ردّه.

فمما ورد إثباته لله تعالى: كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام.

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

ومنه: الوجه والعينان واليدان ونحوها.

ومنه: الكلام والمشيئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي.

فالكونية: بمعنى المشيئة. والشرعية: بمعنى المحبة.

ومنه: الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها.

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده: الموت والنوم والسنة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤٌ، أو نحو ذلك.

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة)، فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالى جهة؟، قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء.

وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به فالأول باطل، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضا، لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته. والثالث حق، لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته. ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة.

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته.

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المأمور به في القرآن؟

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أمر الله به في القرآن؟

وأين الإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟

ولقد قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

ومن المعلوم أن كثيرًا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن.

وأما العقل فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة

## القاعدة الثانية:

**الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف**، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.

**ودليل ذلك: السمع والعقل.**

**أما السمع**: فقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ الآية.

**وأما العقل** فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

## القاعدة الثالثة:

**ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر،** فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة. وقد دل على ذلك السمع والعقل.

**أما السمع:** فمنه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربيا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

**وأما العقل:** فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله تعالى كتابا، أو يتكلم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام (يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق)، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن كتابه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات.

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويَدَّعون أن هذا مذهب السلف. والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحيانا، وتفصيلا أحيانا، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عَزَّوَجَلَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه النبوات: (وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله) إلى أن قال: (وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه).

قال: "ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانا للناس، وأمر الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزِّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته.. لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بَيَّنَ للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بَلَّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُسْتَدَل به، فيبقى هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحا لباب من يعارضهم، ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم.

## القاعدة الرابعة:

### ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني

وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

فلفظ (القرية) مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾.

ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾.

وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾. لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس.

وتقول: ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك.

فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به.

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني.

**وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:**

**إحداهما: (المعطلة)** الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

**الأول**: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضا.

**الثاني**: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين.

فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

**الطائفة الثانية: (المشبهة)** الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون.

وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

**الأول**: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرا باطلا.

**الثاني**: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة.

# الأسئلة

س١: اذكر القواعد التي وُضعت في لأدلة الأسماء والصفات. مع بيان مختصر لكل قاعدة.

س٢: هل معاني الأسماء والصفات تثبت كما تثبت الأسماء والصفات؟ بيِّن ذلك.

س٣: تحدث بالتفصيل عن الكلام في لفظ الجهة من حيث ثبوته ومعناه.

س٤: وضّح مكانة السنة من القرءان مع ذكر مثالٍ.

س٥: ما دلالة العقل على أنّ ظاهر النصوص معلوم لنا؟

س٦: ما الفرق بين أهل السنة ومذهب المفوضة في مسألة إثبات المعاني والكيفية لصفات الله؟

س٧: خالفت طائفتان في إثبات الأسماء والصفات. اذكرهما. وكيف رَدَّ عليهما أهل السنة؟

## أدلة الأسماء الحسنى
## (دراسة فقط)

١- الله: يُطلق على هذا الاسم لفظ الجلالة، ويأتي مراداً به المسمَّى مبتدأ، ويُخبر عنه بالأسماء، مثل: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وتُنسبُ له الأسماء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف]

٢- الآخِر: دليلُه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[الحديد:

٣- الأحد: دليله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

٤- الأعلى: دليله ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى].

٥- الأكرم: دليله ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق].

٦- الإله: دليله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل].

٧ - الأول: دليله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[الحديد]

٨ - البارئ، دليله ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر]

٩ - الباطن: دليله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد].

١٠- البَرُّ: دليله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور].

١١- البصير: دليله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى]

١٢- التَّوَّاب: دليله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات].

١٣- الجَبَّار: دليله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر]

١٤- العالِم: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء]

١٥- الحافظ: دليله ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَـٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّـٰحِمِينَ﴾ [يوسف].

١٦- الحسيب: دليله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء].

١٧- الحفيظ: دليله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ [هود].

١٨- الحق دليله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الحج].

١٩- الحَكَم: دليله حديث: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَم، وَإِلَيْهِ الْحُكْم**»[1].

٢٠- الحكيم: دليله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحديد].

٢١- الحليم: دليله ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة].

٢٢- الحميد: دليله ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى].

٢٣- الحيُّ: دليله ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر].

٢٤- الحَيِيُّ: دليله: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ**»[2].

٢٥- الخالق: دليله ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر].

٢٦ - الخبير: دليله ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم].

٢٧ - الخلاَّق: دليله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر].

٢٨ - الحفي: دليله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم]

٢٩ - الرَّبُّ: دليله ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس].

٣٠ - الرَّحمن: دليله ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

٣١ - الرحيم: دليله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة].

٣٢ - الرزاق: دليله ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات].

---

(١) سنن النسائي ٥٣٨٧

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٢) وغيره، وإسناده حسن

٣٣ – الرَّفيق: دليله: «إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ»[١].

٣٤ – الرقيب: دليله ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾[ الأحزاب].

٣٥ – الرؤوف: دليله ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[ النحل].

٣٦ – السُّبُّوح: دليله: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْـمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٢].

٣٧ – الوهَّاب: دليله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[ آل عمران].

٣٨ – السلام: دليله ﴿ الْـمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر].

٣٩ – السَّميع: دليله ﴿إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[ المجادل].

٤٠ – السيِّد: دليله: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٣].

٤١ – الشافي: دليله: «اشْفِ أَنتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنتَ»[٤].

٤٢ – الشاكر: دليله ﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[ النساء].

٤٣ – الشَّكور: دليله ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[ فاطر].

٤٤ – الشهيد: دليله ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت].

٤٥ – الصَّمد: دليله. ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص].

٤٦ – الطيِّب: دليله: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً»[٥].

٤٧ – الظاهر: دليله ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد].

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣)

(٢) رواه مسلم (٤٨٧)

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٦) وإسناده صحيح

(٤) رواه البخاري (٥٧٤٢)، ومسلم (٢١٩١)

(٥) رواه مسلم (١٠١٥)

٤٨- العزيز: دليله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد].

٤٩ - العظيم: دليله ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة].

٥٠ - العفوُّ: دليله ﴿وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة].

٥١ - العليم: دليله ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم].

٥٢ - العليُّ: دليله ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى].

٥٣ - الجواد: دليله كما في الحديث القدسي (**... بأني جواد ماجد**)[١].

٥٤ - الغفَّار: دليله ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح].

٥٥ - الغفور: دليله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

٥٦- الغنِيُّ: دليله ﴿وَالله الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [سورة محمد].

٥٧ - الفتَّاح: دليله ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ].

٥٨ - القادر: دليله ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام].

٥٩- القاهر: دليله ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام].

٦٠ - القدُّوس: دليله ﴿الْـمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الجمعة].

٦١- القدير: دليله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك]

٦٢ - القريب: دليله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة].

٦٣ - القهَّار: دليله ﴿وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم].

٦٤ - القويُّ: دليله ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[الشورى].

٦٥ - القيُّوم: دليله ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة].

٦٦ - الكبير: دليله ﴿وَأَنَّ الله هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج]

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ١٦٢٥

٦٧ – الكريم: دليله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار].

٦٨ – اللطيف: دليله ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].

٦٩ – الستير: دليله «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»[١].

٧٠ – المبين: دليله ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور].

٧١ – المتَعال: دليله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[الرعد].

٧٢ – المتكبِّر: دليله ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر].

٧٣ – المَتين: دليله ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات].

٧٤ – المُجيب: دليله ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود].

٧٥ – المجيد: دليله ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود].

٧٦ – المُحسن: دليله «إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»[٢]

٧٧ – المُحيط: دليله ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت].

٧٨ – المصوِّر: دليله ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر].

٧٩ – المُعطي: دليله «وَاللهُ الْمُعطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ»[٣]

٨٠ – المُقتدر: دليله ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[الكهف].

٨١ – المقدِّم: دليله «أنتَ الـمُقدِّمُ، وأنتَ الْمُؤخِّرُ»[٤].

٨٢ – المُقيت: دليله ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء].

---

(١) سنن أبي داود ٤٠١٢

(٢) رواه ابن أبي عاصم في الديَّات (ص: ٥٦)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١١٣)، وإسناده حسن كما ذكر الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٧٠)، وانظر صحيح الجامع الصغير (١٨١٩) و(١٨٢٠).

(٣) رواه البخاري (٣١١٦).

(٤) رواه البُخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٧١)

٨٣- المَلِك: دليله ﴿الْـمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر].

٨٤- المَليك: دليله ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر].

٨٥- المَنَّان: دليله: «اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بَأَنَّ لَكَ الْحَمْد لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنتَ الْـمَنَّان»(١).

٨٦- المُهيمن: ﴿الْـمُؤْمِنُ الْـمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر].

٨٧- المؤخِّر: دليله «أنتَ المُقدِّمُ، وأنتَ المُؤخِّرُ»(٢).

٨٨- المولَى: دليله ﴿نِعْمَ الْـمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج].

٨٩ المؤمن: دليله ﴿الْـمُؤْمِنُ الْـمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر].

٩٠- النَّصير: دليله ﴿وَكَفَى بِالله نَصِيرًا﴾[النساء].

٩٢- الواحد: دليله ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد].

٩٣- الوارث: دليله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر].

٩٤- الواسع: دليله ﴿إِنَّ الله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة].

٩٥- الوتر: دليله حديث: «إنَّ الله وِترٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»(٣).

٩٦- الوَدود: دليله ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[ البروج].

٩٧- الوكيل: دليله ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران].

٩٨ - الوليُّ: دليله ﴿فَالله هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْـمَوْتَى﴾[الشورى]

٩٩- القابض: دليله قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إن الله هو المسعر القابض الباسط)(٤).

١٠٠- الباسط: دليله قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إن الله هو المسعر القابض الباسط)

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، وإسناده حسن

(٢) رواه البخاري (١١٢٠)

(٣) رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)

(٤) سنن أبي داود ٣٤٥١

## أمثلة في إثبات بعض صفات الله تبارك وتعالى

ذكر الإمام ابن أبي زمنين أمثلة فيها إثبات صفات الله تبارك وتعالى:

### ١- صفة الوجه:

قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

فإن هذه الآية الكريمة فيها إثبات صفة الوجه لله عَزَّوَجَلَّ صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل مذموم.

### ٢- صفة النفس:

قال تعالى﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران].

في هذه الآية إثبات صـفة النفس لله تبارك وتعالى ومثل ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ بما أخبر به عن نبيه عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]، صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

### ٣- صفة العينيين:

قال تعالى﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فيها إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى، وجاءت بلفظ الجمع هنا ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، وإلا فإن لله عَزَّوَجَلَّ عينين اثنتين تليق بعظمته وجلاله، دلَّ على ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الدجال: " إِنَّهُ أَعْوَرُ،

وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"[(١)] والعور فقد إحدى العينين، فدلّ الحديث على أن الله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بصفة العينين صفة ذاتية تليق بعظمته وجلاله.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه] جاء لفظ العين التي هي صفة لله تبارك وتعالى مفرداً، ووجه مجيئه مفرداً لأن الاسم المفرد المضاف يعم، يشمل الواحد والاثنين والجماعة، وكذلك المشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، فـــ(عين) مضاف وياء المتكلم مضاف إليه.

## ٤- صفة اليدين:

قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

في الآية الكريمة إثبات صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ صفة ذاتية ذات كمال وجلال تليق بعظمة الله وجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، بل كما قال الله تعالى:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى]

وذلك دليل على أن لله يدين اثنتين تليق بعظمته وجلاله، ولفظ اليد أيضاً جاء تارةً بلفظ الإفراد وتارةً بلفظ التثنية وتارةً بلفظ الجمع.

**والجمع بين هذه الألفاظ** أن ورود اليد بلفظ الإفراد كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]،فإن لفظ اليد هنا مفرد مضاف والمفرد المضاف يعم الواحد والاثنين والجماعة، وفي قوله ﴿يـــــداه﴾ تثنيه وأن لله يدين اثنتين.

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١] جاءت مجموعة للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه كالقول في ﴿بأعيننا﴾ فأيدي

(١) رواه البخاري، (٧١٣١) ومسلم، (٢٩٣٣)

مضاف و(نا) مضاف إليه وهو للمتكلم المعظِّم نفسه وهو الله تبارك وتعالى، والصفة أن لله يدين اثنتين صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فيها دليل على أن الله تبارك وتعالى له يـــدان اثنتان، كما سلف في الآيات المتقدمة، وأن يده توصف بأنها يمين، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: " وكلتا يديْ ربي يمينٌ مباركةٌ"(١)، لا تشبه صفة المخلوق وإنما هي صفة كمالٍ وجلالٍ تليق بعظمة الله وجلاله.

### ٥- صفة النور:

قال تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، أي: هو الذي أنار السماوات والأرض لا غيره، وفي الحديث: " حجابُهُ النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتِ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"(٢)

### ٦- صفة الحياة:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ اسمان كريمان دلّ الأول على إثبات صفة الحياة لله صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

### ٧- صفة القيومية:

قال تعالى ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أي أن الله قائمٌ بذاته مقيمٌ لغيره من مخلوقاته، فهو الغني وهم الفقراء إليه، وهو الحي الذي لا يموت والقائم بجميع شؤون مخلوقاته

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٦٠)، وابن حبان في الصحيح (٦١٦٧) وحسنه الألباني في الصحيحة (٣١٣٦).

(٢) رواه مسلم (١٧٩)

الدينية و الدنيوية، وذلك من صفات الكمال التي دلّ عليها هـذان الاسمان الكريمان: الحي القـــيوم.

**٨- صفة النزول:**

وَمِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ وَإِثْبَاتُهُ وَإِمْرَارُهُ كَمَا جَاءَ؛ صِفَةُ النُّزُولِ لِلرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْـمَشْهُورَةِ عَنْ فُضَلَاءِ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، وَعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، وَرِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي الْخَطَّابِ، وَعُمَرَ بْنِ عَامِرٍ السُّلَمِيِّ، وَغَيْرِهِمْ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

**ومن الأدلة على ذلك**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "يَنْزِلُ الله إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا بِنِصْفِ اَللَّيْلِ اَلْآخِرِ، أَوْ ثُلُثِ اَلْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا اَلَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا اَلَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا اَلَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ اَلْفَجْرُ أَوْ يَنْصَرِفَ اَلْقَارِئُ مِنْ صَلَاةِ اَلصُّبْحِ" حديث صحيح

**(ينزل ربنا)** أي: نزولًا يليق بجلاله نؤمن به، ولا نشبهه بنزول المخلوق؛ لأنه سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾.

**(إلى سماء الدنيا)** أي: السماء الدنيا من إضافة الموصوف إلى صفته، (حين يبقى ثلث الليل الآخر) برفع الآخر صفة لثلث، وفي هذا تعيين لوقت النزول الإلهي.

**ومن فوائد هذا الحديث:**

١-أن فيه ثبوت النزول الإلهي، وهو من الصفات الفعلية التي يثبتها أهل السنة والجماعة السابقون واللاحقون على الوجه اللائق بعظمة الله عَزَّوَجَلَّ.

٢- والنزول حقيقة نؤمن به، ولا نتعرض لكيفيته؛ إذ أهل السنة يُفوضون كيفية الصفات، ويردون علمها إلى الله تبارك وتعالى؛ لأن معرفة كيفية الصفات من العلم الذي استأثر الله به.

سئل مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر به أن يخرج من مجلسه.

٣- وفي الحديث أيضًا إثبات العلو لله تعالى؛ فإن النزول يكون من العلو.

٤- وفيه الرد على من أوّل الحديث بأن معناه نزول رحمته أو أمره. لأن الأصل الحقيقة وعدم الحذف. ولأنه قال: (من يدعوني فأستجيب له) فهل يعقل أن تقول رحمته أو أمره هذا المقال؟!

قال الحافظ عبد الغني المقدسي:" وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول"[1].

### ٩- صفة المعية:

معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

**أولا الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وقال عن رسوله محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِلاّ

(١) "الاقتصاد في الاعتقاد" (ص:٢٩)

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا﴾.

**ثانيا السنة:** وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" حسّنه شيخ الإسلام ابن تيميه في العقيدة الواسطية، وضعفه بعض أهل العلم، وسبق قريبا ما قاله الله تعالى عن نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إثبات المعية له.

**ثالثا الإجماع:** وقد أجمع السلف على إثبات معية الله تعالى لخلقه.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في «الواسطيَّة»: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبر اللهُ به في كتابه وتواتر عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمع عليه سلفُ الأمَّة، مِن أنَّه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]

**وخلاصة القول في معية الله عَزَّوَجَلَّ كما يلي:**

١ - أن معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

٢- أنها حق على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى، من غير أن تشبه معية المخلوق للمخلوق.

٣- أنها تقتضي إحاطة الله تعالى بالخلق علما وقدرة وسمعا وبصرًا وسلطانا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، إن كانت المعية عامة، وتقتضي مع ذلك نصرًا وتأييدًا وتوفيقا وتسديدًا إن كانت خاصة.

٤- أنها لا تقتضي أن الله تعالى مختلطا بالخلق أو حالًّاً في أمكنتهم، ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه.

٥- أنه لا منافاة بين كون الله تعالى مع خلقه حقيقة وكونه في السماء على عرشه حقيقة، سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

# الأسئلة

س١ : هات دليلا من القرآن أو من السنة على إثبات صفات الله الآتية:

أ) صفة الوجه. ب) صفة النفس.

ج) صفة النور. د) صفة الحياة.

س٢: تحدث عن إثبات صفة العينين واليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولماذا تعددت ألفاظهما؟

س٣: ما المقصود بقيومية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

س٤ : ماذا تعني صفة نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ وما دليلها؟ وما كيفيتها؟

س٥ : كيف يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق عرشه ومع خلقه أينما كانوا؟

## ١٠- صفة الرحمة

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الرحمة لله تعالى كما دلّ عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

**فأما الكتاب**، فجاء بإثبات الرحمة على وجوه متنوعة، تارة بالاسم، كقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وتارة بالصفة، قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف:٥٨]، وتارة بالفعل، كقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ٢١]، وتارة باسم التفضيل، كقوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الشورى:٤٨]

فإذاقة الناس الرحمة بمعنى النعمة يستلزم عقلاً إثبات الرحمة صفة لله قائمة بذاته، إذ النعمة أثر من آثارها.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾: يدل على أن كل شيء وصله علم الله، وهو واصل لكل شيء، فإن رحمته وصلت إليه، لأن الله قرن بينهما في الحكم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾.

وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار، لأن الله قرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، فقد بلغته رحمته، فكما يعلم الكافر، يرحم الكافر أيضاً.

لكن رحمته للكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن، فهو يرزق الكافر بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك.

أما المؤمنون، فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية.

وهذا تجد المؤمن أحسن حالاً من الكافر، حتى في أمور الدنيا، لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فهذا فرق ما بين الرحمة هذه وهذه.

**أما السنة:** عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدم على النبي (سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي: «أترون هذه طارحة ولدها في النار» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».

وقوله: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"

وقوله "من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء".

وقوله "إن الله كتب كتابا وهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي" وفي رواية "سبقت غضبي".

**وأما الإجماع:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى لابن قاسم (وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بها وصف به نفسه وبها وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل).

**وأما الأدلة العقلية:** على ثبوت الرحمة لله تعالى، فمنها ما نرى من الخيرات الكثيرة التي تحصل بأمر الله عَزَّوَجَلَّ، ومنها ما نرى من النقم الكثيرة التي تندفع بأمر الله، كله دال على إثبات الرحمة عقلاً.

فالناس في جدب وفي قحط، الأرض مجدبة، والسماء قاحطة، لا مطر، ولا نبات، فينزل الله المطر، وتنبت الأرض، وتشبع الأنعام، ويسقي الناس.. حتى العامي الذي لم

يدرس، لو سألته وقلت: هذا من أي شيء؟ فسيقول: هذا من رحمة الله ولا يشك أحد في هذا أبداً.

## مسألة: من جحد صفة الرحمة من أهل البدع

وأنكر الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل أن يكون الله تعالى متصفاً بالرحمة، قالوا: لأن العقل لم يدل عليها.

وثانياً: لأن الرحمة رقة وضعف وتطامن للمرحوم، وهذا لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

**ونحن نرد عليهم قولهم من وجهين: بالتسليم، والمنع:**

التسليم أن نقول: هب أن العقل لا يدل عليها، ولكن السمع دل عليها، فثبتت بدليل آخر.

والقاعدة العامة عند جميع العقلاء: أن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول، لأنه قد يثبت بدليل آخر.

فهب أن الرحمة لم تثبت بالعقل، لكن ثبتت بالسمع، وكم من أشياء ثبتت بأدلة كثيرة.

أما المنع، فنقول: إن قولكم: إن العقل لا يدل على الرحمة: قول باطل، بل العقل يدل على الرحمة، فهذه النعم المشهودة والمسموعة، وهذه النقم المدفوعة، ما سببها؟ إن سببها الرحمة بلا شك، ولو كان الله لا يرحم العباد، ما أعطاهم النعم، ولا دفع عنهم النقم!

وهذا أمر مشهود، يشهد به الخاص والعام، العامي في دكانه أو سوقه يعرف أن هذه النعم من آثار الرحمة.

وهناك من فسّر الرحمة بالجنة، فراراً من إثبات صفة الرحمة لله حقيقة ويظن ذلك ينفعه، وليس كذلك، فإن الجنة أثر من آثار الرحمة التي هي صفة لله قائمة بذاته والتي هي مصدر الخير، وأصل التراحم بين العالم وإثبات الأثر يستلزم عقلاً إثبات أصله ومصدره.

وهي صفةٌ ثابتة بالكتاب والسنة، و (الرحمن) و (الرحيم) من أسمائه تعالى تكررا في الكتاب والسنة مرات عديدة.

## هل الرحمة صفة ذاتية أم فعلية؟

الرحمة صفة ذاتية فعلية.

فهي فعلية من حيث تعلقها بمشيئة الله تعالى وقدرته؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.

وهي ذاتية باعتبار أن الله لم يزل متصفاً بالرحمة، فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى وإن كان أفرادها تتجدد.

# الأسئلة

س١ : ما عقيدة أهل السنّة في صفة الرحمة؟ اذكر أدلة من القرءان والسنة.

س٢ : ما الفرق بين رحمة المؤمنين ورحمة الكفار؟

س٣: مَنِ الفرقة التي أنكرت صفة الرحمة؟ وبيّن قولهم والرّد عليه.

س٤ : هل الرحمة صفة ذاتية أم فعلية؟ اشرح ذلك بالتفصيل.

### ١١- صفة الكلام

اللهُ متَّصفٌ بصفة الكلام أزَلاً وأبداً، وهو متكلِّمٌ بلا ابتداء، ويتكلَّم بلا انتهاء؛ لأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بداية له ولا نهاية، فلا بداية لكلامه ولا نهاية له، وصفةُ الكلام صفةٌ ذاتيَّة فعلية، فهي ذاتيَّةٌ باعتبار أنَّه لا بداية للاتَّصاف بها، وفعلية بكونها تتعلَّق بالمشيئة والإرادة، فكلامُه متعلِّقٌ بمشيئته، يتكلَّم إذا شاء كيف شاء، وهو قديمُ النوع، حادثُ الآحاد.

وقد كلَّم موسى في زمانه، وكلَّم نبيَّنا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، ويُكلِّم أهلَ الجنَّة إذا دخلوا الجنَّة، وهذه من أمثلة آحاد الكلام التي حصلت وتحصل في الأزمان التي شاء الله عَزَّوَجَلَّ حصولَها فيها.

والله تعالى يتكلَّم بحرف وصوت، ليس كلامُه مخلوقاً ولا معنى قائماً بالذات، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٣] ففي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ كلامَه سَمِعَه موسى منه.

وقوله: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ تأكيدٌ لحصول الكلام، وأنَّه منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكلام الله عَزَّوَجَلَّ لا بداية له ولا نهاية له، فلا حصرَ له، بخلاف كلام المخلوق، فإنَّ له بدايةً وله نهاية، فيكون كلامُه محصوراً، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾، وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾.

ففي هاتين الآيتين إثباتُ صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ كلامَه غيرُ محصور؛ لأنَّ البحورَ الزاخرةَ ولو ضوعِفَت أضعافاً مضاعفة، وكانت مداداً يُكتبُ به كلام الله، وكان كلُّ ما في الأرض من شجر أقلاماً يُكتبُ بها، فلا بدَّ أن تنفدَ البحورُ والأقلامُ؛ لأنَّها مخلوقةٌ محصورةٌ، ولا ينفدُ كلام الله الذي هو غير مخلوق ولا محصور، والقرآن من كلام الله، والتوراة والإنجيل من كلام الله، وكلُّ كتاب أنزله الله فهو من كلامه، وكلامُه غيرُ مخلوق، فلا يَحصل له الفناءُ الذي يحصل للمخلوقات، وهو صفة الخالق الذي لا نهاية له فلا ينفدُ كلامُه، والمخلوقون يَبيدون فينفدُ كلامُهم.

## الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق

بعد أن ذكرنا صفة الكلام العام لله ناسب أن نذكر الكلام الخاص وهو القرآن فالقرآن من أفراد كلام الله عَزَّوَجَلَّ تكلم به حقيقة وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونزل به إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول المعتزلة، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم.

فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوقٍ منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة بحرف وصوت، فألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتْلُو بالألسنة.

قال الحافظ ابن القيم:

وكـذلـك القـــرآن عـــين كلامـه　　　الـــمسـموع منـه حقيقـة ببيـان
هو قول ربـــــــــــي كله لا　　　لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيـــــــل رب العالمـــــين　　　اللفـــظ والمعنى بلا روغـــان

**مسألــة: حكم من قال أن القرآن مخلوق**

قال الإمام يحيى بن خلف المُقرئ: " كنت عند مـــالك بن أنس، فأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبدالله ما تقول فيمن يقول القــرآن مخلوق؟ فقال: "كافرٌ زنديقٌ اقتلوه"[(١)]

وقال الشافعـــي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما لقيتُ أحداً -يعني من شيوخه- إلا قال: من قال في القرآن أنه مخلوق فهو كـــافر"[(٢)]، وقال الإمام البخاري: "من قال القرآن مخلوق فهو كافرٌ خارجٌ من الإسلام "[(٣)]

إذن: من صرّح بأن القرآن مخلوق فقد كذّب القرآن، ومن كذّب القرآن فهو كافر، وذلك بعد إقامة الحجة عليه من الكتاب والسنة، وإزالة كل شبهة هو متشبث بها في دعواه.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

فهذا ما قرره السلف بخلاف الفرق الهالكة الضالة.

---

(١) "الأسماء والصفات" للبيهقي ( ص:٣١٨)

(٢) "الأسماء والصفات" للبيهقي (ص:٣٤٠ )

(٣) " خلق أفعال العباد " (ص: ٣٣ )

**مسألة: حكم من توقف في القرآن هل هو مخلوق أم ليس بمخلوق؟**

وهم الواقفة الذين وقفوا، وقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا نقول: غير مخلوق، فهم جهمية، بل هم شرٌّ من الجهمية كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكذلك لا يقال " لفظي بالقرآن مخلوق" فهذه المقولة من الألفاظ المبتدعة التي لم ينطق بها سلفيٌّ لا من المتقدمين ولا من المتأخرين.

قال ابن بطة العكبري: "من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو ضال مضل جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع، لا يكلم حتى يرجع عن بدعته، ويتوب عن مقالته، فهذا مذهبنا، اتبعنا فيه أئمتنا، واقتدينا بشيوخنا.."[(١)]

إذن: فلا حاجة لأحدٍ إلى أن يقول: (لفظي بالقرآن مخلوق) أو ( القرآن بلفظي مخلوق) كل هذا من معتقد الجهمية وأقوال أهل الأهواء والبدع، فأخف شيء في حق قائل هذه العبارة أنه مبتدع ضال؛ لأنهم يريدون أن يقولوا: القرآن مخلوق فأخذوا يتحايلون بهذه العبارات المشكلة على الناس.

(١) " الإبانة " (٣/ ٣٤٧).

# الأسئلة

س١: ما معنى قول السلف (كلام الله قديمُ النوع حادث الآحاد؟

س٢: كيف نثبتُ أنَّ الله يتكلم بحرف وصوتٍ؟

س٣: كلام الله غير محصور ولا بداية له ولا نهاية. اذكر دليلا على ذلك.

س٤: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في القرءان؟

س٥: ما حكم من قال القرءان مخلوق؟ واذكر قولا للسلف في ذلك.

س٦: مَنْ هم الواقفة؟ وما حكم قولهم؟ واذكر عباراتهم وفَندها؟

## ١٢- صفتا العلو والاستواء

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بصفة العلو صفة ذاتيةً لله سبحانه، وأنه فوق عرشه بائن من خلقه، لا يخفى عليه شيء فإنه سبحانه عليٌّ في دنوه قريب في علوه قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

### أنواع العلو:

١- **علو الفوقية:** الأدلة الصريحة عليه لا تعد ولا تحصى، فمنها قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] ومنها قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ومنها قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]

ومن السنة قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجارية: «أين الله "؟ قالت في السماء. قال: " اعتقها فإنها مؤمنة».

٢- **علو القهر:** أدلته كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وهو متضمن لعلو القهر والفوقية، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤]

ومن السنة، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك» وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنك تقضي ولا يقضى عليك».

٣- **علو الشأن:** هو ما تضمنه اسمه القدوس السلام الكبير المتعال وما في معناها، واستلزمته جميع صفات كماله ونعوت جلاله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجِنّ: ٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

ونصوص الوحي من الكتاب والسنة في هذا الباب معلومة مفهومة مع كثرتها وشهرتها.

**صفة الاستواء: دليلها** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾

**ومعنى استوى:** علا وارتفع استواءً يليق بعظمته وجلاله.

من معاني الاستواء: الارتفاع، والعلو والاستقرار.

ودلّ على ثبوت صفة الاستـــواء الفعلية آيات من القرآن الكريم ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في سبعة مواضع في القرآن، وهي:

**الأول:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

**الثـاني:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

**الثالث:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الرعد:٢].

**الرابع:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]..

**الخامس:** ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

**الســادس:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السجدة].

**السابع:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد:٤].

من صفات الله الفعليَّة، ومذهب السَّلف فيه وفي سائر الصفات إثبات الجميع على ما يليق بالله من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تحريف أو تعطيل، مع فهم

المعنى والجهل بالكيفية، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سُئل عن كيفية الاستواء قال: "الاستواءُ معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

وقد أجمع السلف على إثبات صفة استواء الله على عرشه.

قال شيخ الإسلام: " إن الذين نقلوا إجماع السلف أو إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يُحصيهم إلا الله، وما زال علماء السلف يُثبتون المباينة ويردون قول الجهمية بنفيها"(١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند تفسير آية الاستواء على العرش من سورة الأعراف، قال: "وأمَّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، فللنَّاس في هذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما نسلُكُ في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمَّة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان الْمُشبِّهين منفيٌّ عن الله؛ فإنَّ اللهَ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمَّة: منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: مَن شبَّه اللهَ بخلقه كفر، ومن جحدَ ما وصفَ اللهُ به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيه، فمَن أثبت لله تعالى ما وردت به الآياتُ الصريحةُ والأخبارُ الصحيحةُ على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائصَ، فقد سلك سبيل الهُدى".

---

(١) "بيان تلبيس الجهمية" (٥/ ٦٩)

## مسألة: من جحد صفة الاستواء من أهل البدع

صفة اســتواء الله على عرشه جحدها أهل البدع، وجحدهم لها إما بإنكارها كما فعلت الجهمية والمعتزلة، أنكروا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أنكر صفات الله التي جاء بها القرآن والسنة فقد كذب القرآن ومن كذَّب القرآن فقد كفر، وهؤلاء قد خالفوا الكتاب والسنة حيث أَوَّلوا _ الاستواء_ بالاستلاء فقالوا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ أي: استولى، وفسَروه بالاستيلاء والهيمنة والسيطرة ونحو ذلك من التأويل الفاسد، كالمعتزلة والأشاعرة ومن لف لفهم.

## مسألة: الفرق بين العلو والاستواء

**الأول:** العلو صفة ذاتية لا تنفك عن الله عَزَّوَجَلَّ، والاستواء صفة فعلية، يفعله متى شاء وكيف شاء؛ ولهذا جاءت معطوفة بــ( ثم) في جميع المواضع ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، إلا في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ لم يكن معطوفاً على شيء، لكن في الجمل المتعاطفة من آي التنزيل الكريم جاءت بحرف العطف (ثم).

**الثـاني:** العُلوُّ دلَّ عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

فالعقلاء مُقرُّون بأن الله فوقهم، العقل السليم والفطرة السليمة مجبولة على هذا؛ فما من داعٍ يدعو ربه إلا وهو يرفع يديه؛ لما تقرر عنده أن الله فوق كل شيء، بل حتى صغار الأولاد والبنات من المسلمين إذا كرب الواحد منهم يرفع رأسه يقول: يـــارب.

وأما الاستواء فقد ثبت بالكتاب والسنة، بالكتاب لفظاً وبالسنة معنىً والإجماع انعقد على ذلك، روى البيهقي بسنده عن الإمام الأوزاعي رحمه أنه قال: " كنا

والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه؛ ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جَلَّوَعَلَا"(١).

وقد حكى الإجماع كثير من أئمة السلف لا يحصيهم إلا الله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ.

**الثالث:** العلو يعلمه خواص الناس وعوامهم، علمه خواص الناس بما آتاهم الله من علم الشريعة، وعوامُّهم بما سمعوا وعقلوا وجُبلت عليه فطرُهم.

أما الاستواء فلا يعلمه إلا خواص من الناس: وهم أهل العلم، فهم الذين يعلِّمونه ويقرونه في الناس.

**العرش، معناه ووصفه**

**والعرش:** هو سرير الملك وهو ثابت بالكتاب والســنة فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾.

ووصفه الله بأنه مجيد فقال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [سورة البروج آية ١٥] ووصفه بأنه كريم عظيم فقال: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦﴾ وقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون].

وجاء في الســنة النبوية الصــحيحة بأَن له قوائم، وأنه ســقف الفردوس، وأنه عظيم وذو وزن ثقيل.

فقد روى البخاري ومســلم من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يدعو عند الكرب يقول:( لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم).

---

(١) "الأسماء والصفات" (٨٦٥)

والدليل على ثِقل وزن العرش قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سـبحان الله وبحمده عدد خلقه وزِنَةَ عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته).

قال العلامة ابن القيم في كتابه "المنار المُنيف ص:٢٨": "فيه إثبات العرش، وإضـافته إلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيءٌ أثقل منه لوزن به التسبيح، وهذا يردُّ على من يقول: إن العرش ليس بثقيلٍ ولا خفيفٍ، وهذا لم يعرف العرش، ولا قَدَرَهُ حق قَدْرِهِ".

فقد ثبت في الحديث الصحيح عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ غيرهُ، وكانَ عرشهُ على الماءِ، وكَتبَ في الذكر كلَّ شيءٍ، وخلق السموات والأرضَ"[1]، أي: خلق العرش قبل المخلوقات وكان عرشه على الماء.

**والكرسي** ذكره الله تبارك وتعالى في القرآن وجاء ذكره في السـنة وهو من مخلوقات الله العظيمة وهو بين يدي العرش، قال ابن عباس:" هو موضع القدمين للجبار الباري تبارك وتعالى"[2] كما يليق بعظمته وجلاله، وهذا هو التفسـير الحق بخلاف من فسَّـر الكرسي بالعلم، وقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: وسع علمه.

قال أبو منصـور الأزهري: " والصـحيح عن ابن عباسٍ في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمارٍ الدهني عن مسـلم البَطين عن سـعيد بن جبير عن ابن

(١) رواه البخاري (٣١٩١)

(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في "السنة"(٥٨٦)، وابن أبي شيبة في كتاب العرش(٦١)،وابن خزيمة في التوحيد(ص:٢٤٨) وغيرهم،وقال الإمام الألباني في " مختصر العلو" (ص١٠٢) رقم (٤٥): إسناده صحيح،رجاله كلهم ثقات.

عباسٍ أنه قال: الكرسي موضــع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدره، وهذه روايةٌ اتفق أهل العلم على صــحتها، والذي رُوي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يُثبته أهل المعرفة"[١].

(١) "تهذيب اللغة" (١٠/ ٣٣).

# الأسئلة

س١: ما معنى العلو؟ وما دليلك على ذلك؟

س٢: اذكر أنواع العلو مع دليل لك نوع؟

س٣: عرّف صفة الاستواء؟ واذكر دليلا عليها.

س٤: كيف نُثبت صفة الاستواء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ وما حكم من جحَدها؟

س٥: ما الفرق بين العلو والاستواء؟

س٦: تحدث عما يلي بإيجاز:

أ) معنى العرش ودليله.

ب) وصف العرش من القرءان والسنة.

ج) تعريف الكرسي ودليله.

## مفردات الوحدة الثانية

- الإيمان قول وعمل.
- تمام الإيمان وزيادته ونقصانه.
- الاستغفار لأهل القبلة وَالصلاة على من مات منهم.
- الأحاديث التي فيها نفي الإيمان بالذنوب.
- فضل الصحابة وبيان منزلتهم.
- الاعتصام بالكتاب والسنة.
- اتِّباعُ السلف الصّالح واقتفاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم.
- طاعة ولاة الأمور.
- ذم الخوارج وبيان أوصافهم.
- البدعة.
- الولاء والبراء.
- الأولياء والوَلاية في ميزان الشريعة.

# اَلْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ

اعلم أيها الطالب أن الدينَ مبنيٌّ على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرِ والقدر خيره وشره.

ولما كان الخطأ في مسمى الإيمان ليس كالخطأ في غيره، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق، كان السلف يهتمون بتقريره في كتبهم مع البيان والرد على من جانب الصواب فيه.

## تعريف الإيمان لغة وشرعا:

**الْإِيمَان لغة:** التصديق المستلزم للقبول والإذعان.

**وشرعاً:** قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بالعصيان ويتفاضل أهله فيه.

**فالقول باللسان:** يشمل الشهادتين وسائر الأذكار والدعوات الشرعية، ويشمل قراءة القرآن والتسبيح والتهليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**وعمل القلب:** إخلاصه ورجاؤه وتوكله وكل عبادة قلبيه داخلة في الإيمان.

**وعمل الجوارح:** أي الأعمال الظاهرة من صلاة وزكاة وحج وصيام وامتثالٍ واجتناب للأوامر والنواهي، قال ابن عبد البر: الطاعات كلها عندهم تسمى إيمانا(١)

**ومن الأدلة على ذلك:**

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨)

قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وقد سئل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الإيمان فأجاب بذكر الأركان الستة كما في حديث جبريل المشهور، وقال لأصحابه يوما: (أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله وَحْدَهُ» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ)[١]

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)[٢].

## الفرق التي ضَلَّت في الإيمان:

وسبب الكلام عن الإيمان هو ظهور طوائف منحرفة عن منهج السلف ضَلَّتْ في مسمى الإيمان ومنهم المرجئة، الذين هَوَّنوا من قدر العمل وقللوا من شأنه فأخرجوه عن مسمى الإيمان وهم ثلاثة أصناف:

**الصنف الأول:** من جعل الإيمان معرفة القلب أو التصديق وإن لم يتلفظ باللسان؛ وهم الجهمية، أتباع جهم بن صفوان، والأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري[٣].

**الصنف الثاني:** من جعل الإيمان قولاً باللسان وإن لم يُصدق بقلبه وهم الكرامية أتباع محمد بن كرام[٤].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٠)

(٢) الإيمان (ص ١٦٦ )

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤ )، الإيمان لابن تيمية ص١٠٠

(٤) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠)

**الصنف الثالث:** من جعل الإيمان قولا وتصديقا دون عمل، وهم مرجئة الفقهاء(١).

والكل مجمعون على إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

- فأما الجهمية والأشاعرة [القائلون بأن الإيمان مقتصر على التصديق] فيرد عليهم بأن فرعون وقومه كانوا يعلمون صدق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقلوبهم، قال الله عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤].

فكانت نفوسهم مستيقنة، ولم ينفعهم ذلك لجحودهم واستكبارهم عن الإقرار والقول والعمل.

- وأما الكرامية [القائلون بأن الإيمان مقتصر على القول بلسان] فيرد عليهم بأن المنافقين كانوا يتلفظون بألسنتهم ومع ذلك حكم الله بكفرهم، وأنهم في الدرك الأسفل من النار تحت الكافرين قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[النساء]، وقال تعالى عنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾[آل عمران].

- وأما مرجئة الفقهاء [القائلون بأن الإيمان قول وتصديق دون العمل] فَيردُ عليهم بأن الإسلام وأركانه أعمال بل الإيمان نفسه عمل، وقد سمى الله بعضَ الأعمال إيمانا كالصلاة حيث سمَّاها الله تعالى إيمانا كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]. أي صلاتهم وهي عمل، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١١٩)

من الإيمان)[١]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٢].

فدلت هذه النصوص على أن قول لا إله إلا الله من الإيمان، وإماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، والحياء من الإيمان، وإنكار المنكر باليد وباللسان وبالقلب من الإيمان، فالإيمان إذن: قول وعمل واعتقاد[٣].

ولهذا يجب عليك أيها الطالب أن تعلم أن الأقوال والأعمال مقترنة بالإيمان لا يمكن فصلُها عنه.

والسلف لا يفرقون بينها كما قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل)[٤].

كما أن القرآن كله يتضمن الإشادة بشرف العمل والحث عليه فكثيرا ما يقرن الله جَلَّ وَعَلَا العمل بالإيمان لأنه منه وبه زيادته ونقصانه.

فالأعمال من الإيمان، كما في قوله ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[العصر].

فلم يستثن سبحانه من آمن إيمانا مجردا عن العمل بل أتبعَ الإيمان بذكر العمل؛ لأنه من أهم خصائصه التي ينجو بها الإنسان يوم القيامة من الخسارة والندامة فقال: ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١١)، ومسلم (١/ ٦٣)

(٢) رواه مسلم (١/ ٦٩)

(٣) بتصرف من معارج القبول (٢/ ٦٠٢)

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٤)

وهذا من الأدلة على أن الإيمان يراد به العمل بأركان الشريعة، فليس قاصرا على القلب خاليا من العمل.

قال الإمام ابن عبد البرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمع أهل الفقه والحديث على أنّ الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم تسمى إيمانا)[١]

**فالحاصل:** أن الحقَّ الذي لا شك فيه هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد، خلافا للمرجئة باختلاف أنواعهم الذين جعلوا الإيمانَ أهونُ شيء عندهم، فلا عمل فيه ولا قول ينفعه.

فجعلوا هذا الدين عبارة عن معارف مجردة عن الأعمال والأقوال؛ ولهذا تواترت النصوص عن السلف في التحذير من الإرجاء وأهله، وبيانا لأهمية العمل وتعظيما لشأنه وإشادة بشرفه وذكرهِ ولأنه من الإيمان والله المستعان.

وقد قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (كَانَ الْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافَقَةِ السُّنَّةِ)[٢].

وكذلك ذكر أبو عمرو الطلمنكي المالكي إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة[٣].

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨)

(٢) ذم الكلام (٣/ ١٢٤)

(٣) كتاب الإيمان ( ص٢٦٠ )

# الأسئلة

س١: عرف الإيمان لغة وشرعا.

س٢: كيف يكون العمل باللسان والقلب والجوارح؟

س٣: المرجئة أخرجوا العمل عن مسـمى الإيمان على اختلاف بينهم تكَّلم عن أصنافهم في هذا الباب.

س٤: كيف ترد على الفرق التي ضَـلَّت في باب الإيمان والعمل؟ ناقش ذلك مستدلا بالكتاب والسنة وأقوال السلف.

س٥: السـلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل ناقش ذلك مسـتدلا بالكتاب والسنة وأقوال السلف.

# زيادة الإيمان ونقصانه

قال الإمام ابن أبي زمنين وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ الْإِيمَانَ دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلُ يَتِمُّ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ اِسْتَوَى فِيهِ النَّاسُ، وَلَمْ يَكُنْ لِلسَّابِقِ فَضْلٌ عَلَى المَسْبُوقِ.

وَبِرَحْمَةِ الله وَبِتَمَامِ الْإِيمَانِ يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَبِالزِّيَادَةِ فِيهِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الدَّرَجَاتِ ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا). [حديث صحيح]

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ) قَالُوا: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: (إِذَا ذَكَرْنَا الله وَصُمْنَا وَصَلَّيْنَا زَادَ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَسَهَوْنَا نَقَصَ). [مقبول]

أراد الإمام ابن أبي زمنين: رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُبين أن الإيمانَ درجاتٌ ومنازل وشعب لا يستوي فيها الناس، فبعضهم أعلى من بعض بالإيمان والعلم والعمل، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾[المجادلة]، وقال سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ٧٦﴾[يوسف] يرفعهم سبحانه درجات على حسب أعمالهم، قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣﴾[آل عمران].

قال ابْن عَبَّاسٍ: أي «بِأَعْمَالِهِمْ»(١) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة].

فاكتساب الدرجات واستكمالها يكون بالاجتهاد في الأعمال الصالحات وقد بَيَّنَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعب الإيمان في قوله: (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)(٢).

فالإيمان له درجات وله شعب قال ابن عبد البر: (الإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيه كالكامل)(٣).

ثم بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الإيمان يزيدُ وينقصُ وهذا مأخوذ من آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية صحيحة قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤]، وقوله ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف]. ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر٣١]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

قال الإمام ابن بطَّال المالكي: (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه؛ ما أورده البخاري في

(١) الطبري (٦ / ٢١٠)
(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه
(٣) التمهيد (٩/ ٢٤٤)

كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة؛ فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له)[١].

وكل شيء يزيد فهو ينقص، ومن الأدلة على نقصان الإيمان قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[٢].

فقوله في الحديث: (وذلك أضعف الإيمان) تصريح بأن الإيمانَ ينقص؛ ولهذا قال النووي في شرحه صحيح مسلم "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."[٣].

ثم بين الإمام ابن زمنين أن الناس يتفاضلون على حسب إيمانهم، وسبقهم في مرضـــات ربهم، ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨ ﴾ [السجدة].

وقوله: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨ ﴾ [ص].

وقال تعالى في بيان فضـــل الســـابق في الإيمان والطاعة على اللاحق فيه: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم اعلمْ أيّها الطالب أنَّ دخول الجنة يكون برحمة الله سبحانه، فليست الأعمال أثمانا لدخولها، فالجنة لا يساويها عمل مهما كان صالحا، ومهما كان كثيرا، فسلعة

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري(١/ ٥٦ )

(٢) صحيح مسلم ( ١/ ٦٩ )

(٣) شرح النووي على مسلم( ٢/ ٢١)

الله غالية أغلى من الأعمال كلها، والأعمال إنما هي أسباب لدخول الجنة فقط، وأما ثمنُ دخولِها هو رحمةُ الله وجودُه؛ ولهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[١]

وقوله (وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة): أي أن أهل تمام الإيمان ونقصانه يدخلون الجنة ونقصان الإيمان يكون بالذنوب والمعاصي، فمن عصا ربه وأذنب بما دون الكفر فهو تحت مشيئة الله، قد يعاقب على قدر ذنبه ومعصيته، ثم يدخل الجنة وقد يغفر له ذنبه ابتداء فيدخل الجنة بغير عقوبة.

وليس معناه أَنَّ مَنْ نَقُص إيمانُه لفرط ذنب أو معصية أنه يدخل النار حتما أو يخلد فيها كما زعمت الخوارج أبدا!.

هذا ليس من منهج السلف -أيها الطالب- بل هو تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ قد يدخل الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب وقد يعاقب على ذنبه ثم بعد ذلك يدخل الجنة لإيمانه وتوحيده

إذن فقوله (وبتمام الإيمان): ليس شرطا بل يقصد الإمام ابن زمنين أن أول من يدخل الجنة هم أصحاب الإيمان التام الكامل من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والطائعين

ومن نقص إيمانه فهذا من أهل الجنة سواء عوقب أم لم يعاقب على التفصيل السابق، واستدل أيضا بحديث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (أكمل المؤمنين عند الله إيمانا أحسنهم خلقا)[٢]، فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان.

(١) رواه أحمد (٣٥٩٩) صحيح لغيره [ الترغيب والترهيب ]

(٢) رواه الترمذي (٣/ ٤٥٨)، وأبو داود (٤/ ٢٢٠ رقم ٤٦٨٢) انظر الصحيحة(٢٨٤)

**مسألة: في ذكر الأقوال في زيادة الإيمان ونقصانه:**

١- **مذهب السلف:** أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل أهله فيه، ومرَّ ذكر الأدلة على ذلك.

٢- **وقالت المرجئة والخوارج والمعتزلة:** الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

**فأما المرجئة:** فلأن الإيمان عندهم لا يتجزأ بل هو قاصر على القلب وبعضهم جعله قاصرا على اللسان، والزيادة والنقصان تكون بالأعمال، وهم ينكرون دخول الأعمال في الإيمان

فلما أنكروا دخول العمل في الإيمان حملهم ذلك إلى نفي الزيادة والنقصان بل الإيمان عندهم أصل واحد لا يتجزأ، فلا تضره الذنوب والمعاصي، وإيمان الفساق عندهم كإيمان الأبرار

**وقالت الخوارج والمعتزلة:** لا يزيد ولا ينقص؛ لأنهم يرون أن الإيمان إما أن يوجد كله وإما أن يعدم كله، فَمَنْ تركَ طاعةً أو ارتكبَ معصيةً، فقد خرج عن الإيمان بالكلية إلى الكفر والخلود في النار فيسمى عند الخوارج كافرا.

وأما المعتزلة فقالوا لا نسميه كافرا ولا مسلما، بل خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر فهو في (منزلة بين المنزلتين) وتنطبق عليه أحكام المسلمين في الدنيا، وتنطبق عليه أحكام الكفار في الآخرة من الخلود في النار، وعدم الشفاعة له ونحو ذلك من الأحكام المتناقضة، وسيأتي مزيد إيضاح ذلك في الدروس القادمة.

# الأسئلة

س١: الإيمان عند أهل السنة درجات ومنازل وشعب. بين ذلك مع الاستدلال لما تقول.

س٢: هل الإيمان في قلب صاحبه يبقى كما هو أم يزيد وينقص؟ دلل لما تقول.

س٣: هل دخول الجنة بِكَدّنا وتَحصيلنا؟ وما الدليل؟

س٤: النصـوص التالية شـاهد على عقيدة مهمة عند أهل السـنة اشرحها في ضـوء دراستك:

أ) قال تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾.

ب) (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

س٥: قارن بين أقوال الناس في زيادة الإيمان ونقصانه، ورجّح ما تراه الحق.

# اَلِاسْتِغْفَارُ لِأَهْلِ اَلْقِبْلَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ

قَالَ الإمام ابن أبي زمانيين: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ لَا يَحْجُبُونَ اَلِاسْتِغْفَارَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ، وَلَا يَرَوْنَ أَنْ تُتْرَكَ اَلصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِهِ. وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾.

## الشرح

إن من عقيدة السلف الاستغفار لأهل القبلة يعني (المسلمين) لأن أهل الأديان الأخرى، لا تستقبل قبلتنا، وتنكرها فأهل القبلة تطلق ويراد بها أهل الإسلام.

والصلاة على من مات منهم لأنه من المسلمين مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي فهو مسلم تنطبق عليه أحكام المسلمين مالم يرتكب ناقضا من نواقض الإسلام فصلاة الجنازة من حقوق المسلم، ومن فروض الكفاية التي تجب علينا اتجاهه، خلافا للخوارج الذين يكفرون المسلم بالمعاصي ويحكمون بردته عن الإسلام، ويستحلون دمه وماله وعرضه نسأل أن يجنبنا شرهم.

قال الإمام أحمد: (يُصَلَّى عَلَيْهِ ويستغفر لَهُ وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَار وَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرا كَانَ أَو كَبِيرا وأمره إِلَى الله تَعَالَى) (١)

إذن: فالحاصل أن اَلسُّنَّةُ أن يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَنْ وَحَّدَ الله، وَإِنْ مَاتَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ، وَإِنْ كَانَتْ كَبَائِرَ، إِذَا كَانَ مُسْتَمْسِكًا بِالتَّوْحِيدِ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ

(١) أصول السنة ص٦٠

الله، فَإِنَّهُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَإِثْمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَحِسَابُهُ عَلَى رَبِّهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا مُؤْمِنٌ بِذَنْبِهِ، إِنْ شَاءَ الله عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَلَا نُخْرِجُهُ بِالذُّنُوبِ مِنْ اَلْإِسْلَامِ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ بِهَا اَلنَّارَ حَتَّى يَكُونَ الله اَلَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ بِعِلْمِهِ، وَيُصَيِّرُهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، إِلَّا أَنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنخْشَى عَلَى الْـمُسِيءِ اَلْـمُذْنِبِ.

# نَفْيُ ٱلْإِيمَانِ بِالذُّنُوبِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ ٱلنَّاسُ أَبْصَارَهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ [حديث صحيح]

عَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِاللَّعَّانِ وَلَا ٱلطَّعَّانِ، وَبِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِي [حديث صحيح]

قَالَ الإمام ابن أبي زمانيين: فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ ٱلْـمَذْمُومَةُ فِي هَذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ لَا تُزِيلُ إِيمَانًا وَلَا تُوجِبُ كُفْرًا، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَاهَا: التَّغْلِيظُ لِيَهَابَ ٱلنَّاسُ ٱلْأَفْعَالَ ٱلَّتِي ذَكَرَ ٱلْحَدِيثَ أَنَّهَا تَنْفِي ٱلْإِيمَانَ وَتُجَانِبُهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: المَرَادُ بِهَا أَنَّهَا تَنْفِي مِنْ ٱلْإِيمَانِ حَقِيقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ فَلَا يَكُونُ إِيمَانُ مَنْ يَرْتَكِبُ هَذِهِ المَعَاصِيَ خَالِصًا حَقِيقِيًّا كَحَقِيقَةِ إِيمَانِ مَنْ لَا يَرْتَكِبُهَا.

أراد الإمام ابن أبي زمانيين: رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبين أن الأحاديث التي فيها نفي الإيمان ليس معناها أن ارتكاب المعاصي يخرج عن الإيمان بالكلية، بل معناه الوعيد الشديد والخطر والتغليظ والمبالغة في الزجر على من ارتكبها.

فلا يفعل هذه المعاصي مؤمن كامل الإيمان، فالنفي الوارد في الأحاديث معناه نفي الكمال لا نفي الصحة فانتبه أيها الطالب!.

ولأن من القواعد الشرعية المقررة أن الألفاظ التي تطلق و يراد بها نفي الشيء إن كان المنفيُّ ثابتا شرعا بيقين يكون النفي نفيا لكماله، كما يقال [لا علم إلا ما نفع، ولا

مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة] فهذه هي القاعدة في النفي؛ أن المنفي إن ثبتَ بطرق أخرى فإن النفي يكون للكمال.

وهنا أحاديث تبين بقاء الإيمان لمرتكبي الذنوب والمعاصي؛ كحديث أبي ذر وغيره: "من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق"، وحديث عبادة بن الصـامت الصـحيح والمشهور: "أنهم بايعوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن لا يسـرقوا ولا يعصوا... " إلى آخره، ثم قال لهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن فعل شـيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى عفا عنه وإن شاء عذبه".

فهذان الحديثان ونظائرهما في الصحيح مع قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا إجماع أهل الحق أن الزاني والسـارق والقاتل وغيرهم من أصـحاب الكبائر لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصـو الإيمان إن تابوا أسـقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصـرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا، وإن شـاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة، فإذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما كما هو المقرر عند أهل العلم.(١)

قال الحافظ الحكمي: (فهذا يدل على أنه لم ينف عن الزاني والسارق والشارب والقاتل مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد، فإنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على لا إله إلا الله دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله).(٢)

إذن: فالنفي في هذه الأحاديث إنما هو لنفي الكمال، لا لنفي الأصل كما زعمت الخوارج.

---

(١) شرح النووي على مسلم بتصرف (٢ / ٤١ ٤٢)

(٢) أعلام السنة المنشورة ص٩٩ ١٠٠)

**مسألة: هل يكفر المسلم بارتكاب الذنوب والمعاصي؟**

ج: اعلم أيها الطالب أن المسلم لا يخرج عن الإسلام بالذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك ولكن إيمانه ينقص بفعلها، ويسمى مسلما عاصيا أو فاسقا، ويوم القيامة معرض للعقوبة والعذاب، فإن ماتَ على ارتكاب المعاصي والوقوع في الكبائر، خفنا عليه، ودعونا له، فأهل السنة لا يكفرون المسلمين بل يرجون للمحسن ويخافون على المسيء.

**مسالة ما خطر التكفير و ما الذي يترتب عليه؟**

التكفير خطره عظيم جدا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ, وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ"(١)

ومن كفَّر مسلما فكأنما قتله، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:(وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)(٢) ويترتب على التكفير استحلالُ الدم والمال والعرض وتركُ الصلاة عليه إن مات، وعدمُ دفنه في مقابر المسلمين، ولا يرث ولا يورث إلى غير ذلك.

قال القاضي عياض:(الخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ)(٣).

**مسألة ما الطائفة التي تكفر بالذنوب؟ وما الرد عليها؟**

ج: الخوارج هم من يكفرون بالمعاصي.

والرد عليهم: بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨].

---

(١) مسلم (١/ ٧٩)

(٢) رواه البخاري (٨/ ٢٦)

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى(٢/ ٥٩٦)

وبحديثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه أنهم بَايَعُوا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ لاَ يشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلاَ يسْرِقُوا، وَلاَ يزْنُوا، وَلاَ يقْتُلُوا أَوْلاَدَهمْ، ولا يعصوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى منهم فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله فَهُوَ إِلَى الله، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.(١)

والمعنى: أن العبد يوم القيامة إن عصى ربه بما دون الشرك، فإنه تحت مشيئة الله سبحانه قد يعاقب بعدل ثم يدخل الجنة، وقد يدخل الجنة بعفوه وكرمه من غير عقاب.

ومن المعلوم أنه لو كان كافرا لكان مخلدا في النار، فعَن أبي ذَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا من عبد قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله ثمَّ مَاتَ على ذَلِك إِلَّا دخل الْجنَّة، قلتُ وَإِن زنى وَإِن سرق قَالَ وَإِن زنى وَإِن سرق، قلت وَإِن زنى وَإِن سرق، قَالَ وَإِن زنى وَإِن سرق ثَلَاثًا ثمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَة وإن رغم أنف أبي ذَر، قَالَ فَخرج أَبُو ذَر وَهُوَ يَقُول وَإِن رغم أنف أبي ذَر).(٢)

فمن عصى ربه فهو تحت المشيئة ولا يحكم بكفره بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

(١) رواه البخاري (١/ ١٢)

(٢) رواه البخاري (٢/ ٧١)،ومسلم (١/ ٩٤)

# الأسئلة

س١: كيف توجه النصــوص التي جاء فيها نفي الإيمان عن أهل المعاصي كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)؟

س٢: تحدث عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة. مستدلا لما تقول.

س٣: تكلم عن خطورة تكفير المسلم؟ وماذا يترتب عليه؟

س٤: سَمِّ الطائفة التي عُرفت بتكفير المسلمين. وكيف ترد عليهم؟

# فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبيان منزلتهم

وَمِنْ عقيدة أهل السنة والجماعة مَحَبَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونشر مَحَاسِنِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، والإمساك عَنْ اَلْخَوْضِ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمْ.

## تعريف الصحابي

**الصّحابيّ لغة:**

مشتقّ من الصّحبة، وليس مشتقّا من قدر خاصّ منها، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا أو كثيرا.(١)

الصحابي شرعا: وهو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنَاَ به ومات على ذلك.(٢)

## مكانتهم وثناء الله عليهم

ومن المعلوم عظم مكانة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في قلوب المؤمنين، وارتفاع منزلتهم في الدين، وأن الإسلام ما أظهره الله وأعزه ونصره إلا بهم، بإخلاصهم، وصبرهم، وجهادهم، ونصرتهم لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم الذين كتبوا الوحي بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحفظوا شريعة الله، وبَلَّغوا سنةَ رسول الله، وفتحوا الأمصار، وعمروا الديار، نشروا العدل والقسط، أرشدوا إلى الأخلاق العظيمة، والآداب الكريمة وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لصحبة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرتِه وإقامةِ دينه وإعلاءِ كلمته، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوةً، فحفظوا عنه

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧)

(٢) الإصابة ( ١/ ٨)

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلَّغهم عن الله عَزَّوَجَلَّ، ووعَوْه وأتقنوه، فهم سادات الأمة، وقدوة الأئمة، فرضي الله عن السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان.

## بيان منزلتهم في كتاب الله سبحانه

وصف الله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وأخبرنا الله برضاه عنهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

ووعدهم بالجنة فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ٠].

**والحسنى هي الجنة** قال ابن حزم عن هذه الآية الصحابة كلهم في الجنة وذلك أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء].

فتبين أن الجميع في الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار؛ لأنهم المخاطبون في الآية السابقة.(١)

وصفهم الله بالإيمان الحق فقال جلا وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال].

وأن الهداية في اتباعهم فقال: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال تعالى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وَكُلُّ مِنْ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إِلَى الله فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ(٢).

فقد تضمنت هذه الآيات ثناء الله عَزَّوَجَلَّ العظيم على الصحابة، كما أثنى الله على المستغفرين لهم فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

## بيان منزلتهم من السنة والآثار

اعلم –أيها الطالب الموفق أن السنة المطهرة مليئة بالثناء عليهم، والإشادة بذكرهم، وأنهم خير القرون وصمام الأمان، إذا ذهبوا، وترك الناس علمهم أتاهم ما يوعدون.

---

(١) الإصابة (١/ ١٢)

(٢) إعلام الموقعين ( ٤/ ١٠٠)

وقد بين النبي أنهم خير القرون فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ).(١)

وأنهم صمام الأمان فقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).(٢)

وأنهم خير العالمين فقال رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ).(٣)

فالواجب علينا التأسي بهم قال ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ( مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْتَسِيًا فَلْيَأْتَسِ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا أَخْلَاقًا اخْتَارَهُمُ الله تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا على هدى مُسْتَقِيم) (٤).

والأخذ بفهمهم وعلمهم كما قال ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا)(٥).

واعتقاد طهارة قلوبهم الزكية كما قال ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا: (إن الله نظرَ في قلوب العباد، فوجَد قلبَ محمّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه،

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٣)

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٣)

(٣) حسن أخرجه الآجري في الشريعة (٤/ ١٦٨٠)

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٤/ ١٦٨٥) ، والهروي في ذم الكلام (٤ / ٢٨٨)

(٥) جامع بيان العلم وفضله( ١/ ٦١٧ )

فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتِلون على دينه).[١]

قال القاضي عياض المالكي: (وَمِنْ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ وَبِرُّهُمْ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، فلا يُذْكَر أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، بَلْ تُذْكَر حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ وَحَمِيدُ سيرهم)[٢]

فيجب علينا حبهم، قال الْفُضَيْلَ بْن عِيَاضٍ: "حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُخْرٌ أَدَّخِرُهُ و رَحِمَ الله مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"

## تفضيل الصحابة:

### أفضل الصحابة إجمالا هم المهاجرون

الذين وصفهم الله بترك أوطانهم وأموالهم، من أجل الله ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم في ذلك صادقون قال تعالى عنهم: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[ الحشر] وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لِلْمُهَاجِرِينَ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْفَزَعِ)[٣] وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام)[٤]

---

(١) رواه الإمام أحمد في (المسند) (١/ ٣٧٩) ، وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم ٣٦٠٠)

(٢) الشفا بتعريف بحقوق المصطفى ( ٢/ ٥٢)

(٣) رواه ابن حبان (١٦/ ٢٥٣) ، والحاكم (٤/ ٨٦) الصحيحة (٣٥٨٤)

(٤) رواه الترمذي (٤/ ٥٧٧) صحيح انظر (المشكاة ٥٢٤٣)

ومن المهاجرين على سبيل الخصوص العشرة المبشرون بالجنة لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)[1]

**وبعدهم الأنصار:**

الذين وصفهم الله بأنهم أهل دار الهجرة، والنصرة، والإيمان الصادق، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين، وإيثارهم على أنفسهم، ومواساتهم لهم، وسلامتهم من الشح.

وبذلك حازوا على الفلاح قال جلَّ وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر].

وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بغضهم علامةُ نفاق فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(لا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر)[2].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله).[3]

**وأهل بدر:**

أي أن أفضل الصحابة من المهاجرين والأنصار هم أهل بدر.

---

(١) صحيح سنن الترمذي(٨/ ٢٤٨)

(٢) رواه مسلم (رقم ٧٧)

(٣) رواه أحمد ( ٣٠/ ٤٥٩ ) (الصحيحة ١٩٧٥)

لشهودهم أول معركة مع الكفار، وثباتهم في القتال، وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَر حتى قال فيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)(١) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:( لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية)(٢).

قال الإمام أحمد:( ثم من بعد أَصْحَاب الشورى، أهل بدر من الْـمُهَاجِرين ثمَّ أهل بدر من الْأَنْصَار)(٣).

**وأهل بيعة الرضوان**

وقد قال الله فيهم ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[ الفتح]. وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لن يلج النار أحد شهد بدرًا أو بيعة الرضوان)(٤)

**ثم وَيُفَضِّلُونَ من الصحابة مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ، وكلهم موعودون بالجنة.(٥)**

وأفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فهؤلاء الخلفاء الراشدون وسننهم متبعة لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين"

(١) رواه البخاري (٦/ ١٤٩) ومسلم( ٤/ ١٩٤١ )

(٢) رواه أحمد (٢٣/ ٤١٠) (الصحيحة ٢١٦٠)

(٣) أصول السنة ص٣٨

(٤) (الصحيحة ٢١٦٠)

(٥) العقيدة الواسطية ص ١١٥

## الصحابة كلهم عدول

صحابةُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدول؛ لثناء الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم، وثناء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبرنا الله برضاه عنهم فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]

وقد بين النبي أنهم خير القرون فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ).(١)

فلا يحتاجون مع ذلك لتعديل المعدِّلين وتوثيق الموثِّقين، ولهذا دَرَجَ السَّلفُ في التراجم إذا كان المترجَمُ صحابيًّا أن يقولوا عنه: صحابي، لا يذكرون توثيقاً ولا غيرَه مِمَّا كانوا يذكرون في غير الصحابة.

قال ابن عبد البر: «ولا فرق بين أن يُسمِّي التابعُ الصاحبَ الذي حدَّثه أو لا يُسميه في وجوب العمل بحديثه؛ لأنَّ الصحابةَ كلَّهم عدولٌ مرضيُّون ثقاتٌ أثباتٌ، وهذا أمر مجتمعٌ عليه عند أهل العلم بالحديث» (٢) .

وقال القرطبي: «فالصحابة كلُّهم عدولٌ، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخِيرتُه من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنَّة والذي عليه الجماعة من أئمَّة هذه الأمَّة،

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٣)

(٢) التمهيد (٢٢/ ٤٧)

وقد ذهبت شِرذمةٌ لا مبالاة بهم إلى أنَّ حالَ الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم!!»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «واتَّفق أهلُ السنَّة على أنَّ الجميعَ عدولٌ، ولَم يخالف في ذلك إلاَّ شذوذ من المبتدعة»[٢].

وقد أشار السيوطي في تدريب الراوي إلى هؤلاء الشذوذ من المبتدعة، فقال: «وقالت المعتزلة: عدول إلاَّ من قاتل عليًّا»[٣].

وقال الخطيب البغدادي: «كلُّ حديثٍ اتَّصل إسنادُه بين من رواه وبين النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَم يلزم العمل به إلاَّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظرُ في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ عدالَةَ الصحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن»[٤] ثمَّ ذكر الآيات والأحاديث في ذلك.

## الإمساك عما جرى بينهم

اعلم أيها الطالب أن السلف لا يذكرون الصحابة إلا بالثناء والمدح، ويمسكون عن الكلام في ما شجر بينهم لقول رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)[٥].

وقد أمرنا الله سبحانه بالاستغفار لهم فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٩)

(٢) الإصابة (١/ ١٧)

(٣) (ص: ٤٠٠)

(٤) الكفاية (ص: ٤٦)

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦) انظر الصحيحة (١/ ٧٥)

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر].

وعن العَوَّام بن حَوْشَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال:( أدْرَكْتُ مَنْ أدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الأمَّةِ بَعْضُهُم يَقُوْلُ لبَعْضٍ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أصْحَابِ رَسُوْلِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتأتَلِفَ عَلَيْها القُلُوْبُ، ولا تَذْكُرُوا ما شَجَرَ بَيْنَهم فَتُجَسِّرُوا النَّاسَ عَلَيْهِم)[١].

وقال القاضي عياض(المالكي) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُمْ، والإضراب عَنْ أَخْبَارِ الْـمُؤَرِّخِينَ، وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ، وَضُلَّالِ الشِّيعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ).[٢]

## النهي عن سبهم وبيان حكمه

اعلم أيها الطالب أن سب الصحابة من كبائر الذنوب التي تستوجب الطرد والإبعاد من رحمة الله، وهي علامة من علامات الزندقة والبغض للشريعة عياذا بالله.

فقد قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) [٣]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(مَنْ سَبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[٤]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ)[٥].

(١) «الجَامِعُ لأَحْكامِ القُرْآن للقُرْطُبِيِّ( ٢٠/ ٣٧٤). والعوام ثقة ثبت( تقريب (٥٢١١)
(٢) الشفا بتعريف بحقوق المصطفى ( ٢/ ٥٢ )
(٣) رواه البخاري (٥ / ٨ رقم ٣٦٧٣) ومسلم (٤/ ١٩٦٧)
(٤) رواه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٥٠٣) انظر الصحيحة (٢٣٤٠)
(٥) رواه ابن ماجة (١/ ٥٧ / رقم ١٦٢)، وحسنه الألباني

وقد انتزع الإمام مالك من قوله سبحانه ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ تكفير الرافضة الذين يبغضون الصحابة(١).

وقال الإمام البربهاري: (واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وقد آذاه في قبره).(٢)

وعن الإمام أحمد أنه قال: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بسوء فاتهمه على الإسلام).(٣)

وقال أبو زرعة: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة).(٤)

والحاصل: فمن هذه النصوص تعلم ما عليه الشيعة في زماننا من الكفر بالله حيث جعلوا دينهم مبنيا على تكفير الصحابة والطعن فيهم بل والطعن في زوجات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والطعن في أحب زوجاته إليه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وأرضاها، وادعاء الإمامة، وتأليه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وذريته، وأنهم يعلمون الغيب ويبغضون السنة ويكفرون الأمة نسأل الله السلامة والعافية .

(١) تفسير ابن كثير لسورة الفتح

(٢) شرح السنة للبربهاري ص ١٢٠

(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٦

(٤) رواه الخطيب في الكفاية ص ٤٩

# الأسئلة

س١ : عَرّف الصحابي لغة وشرعا.

س٢ : تَكلَّم عن منزلة الصحابة وما أعده الله لهم.

س٣: قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ماذا قال السلف في هذه الآية؟

س٤ : اذكر ترتيب أفضل الصحابة إجمالا. ومن أفضلهم على الإطلاق؟

س٥ : هل حال الصحابة من ناحية العدالة كحال غيرهم؟ دلّل لما تقول.

س٦ : ما موقفنا مما شجر بين الصحابة؟ وما حكم مَنْ سَبَّهم؟

# الاعتصام بالكتاب والسنة

فإن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهما الهدى والنور، وهما حبله المتين وصراطه المستقيم من تمسك بهما نجا ومن حاد عنهما هلك.

وقد أوجب الله الاعتصام بالكتاب والسنة وكذلك رسوله صَلَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة وحث على ذلك سلفنا الصالح.

**فمن الكتاب**

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾

**وأما الأحاديث فهي كثيرة ونذكر منها:**

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض".

وفي حديث العرباض بن سارية قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

**ومن الآثار**

عن الْحَسَن البصري قال: «إِنَّ أَغْبَطَ النَّاسِ قَوْمٌ قَرَأُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَعَمِلُوا بِسُنَنِهِ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا قَوْمٌ عَمِلُوا بِمَا فِيهِ وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْرؤُونَهُ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ وَثَاقٌ أَوْثَقَ الله بِهِ الْـمُؤْمِنِينَ».

وعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: «كَانَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ، يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ».

وقَالَ عَبْدُ الله بن مسعود: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ».

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «كَانُوا يَرَوْنَهُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا دَامَ عَلَى الْأَثَرِ».

وقَالَ سُفْيَانُ: «وَجَدْتُ الْأَمْرَ الِاتِّبَاعَ».

وقال الإمام مالك: (ليس أحد بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

## معنى الصراط والسنة

والصراط: هو الطريق، ويقال بالسين.

والصراط المستقيم هو طريق الحق، وهو الإسلام والتوحيد والاستقامة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أجمعين.

والسنة: تطلق ويراد بها الشرع المطهر الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، وتطلق ويراد بها أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ومعناهما واحد.

فيجب على كل مسلم اتباع ما جاء به النبي ﷺ؛ لأنه جاء به من عند الله والله أمرنا باتباعه فقال في كتابه الكريم: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف].

فمن زهد في السنة، ورغب عنها، ولم يعمل بها فليس على طريقة محمد ﷺ وأتباعه، لأن النبي ﷺ قال: " فمن رغب عن سنتي، فليس منِّي ".

والذي يرغب عن سنة النبي الكريم والصراط المستقيم والنور المبين يكونُ مآله إلى الضلال والبدع والمحدثات والعياذ بالله.

# الأسئلة

س١: اذكر أدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة.

س٢: ما معنى الصراط؟ وما المقصود بالصراط المستقيم؟

س٣: عرّف السنة، وما حكم من زَهد فيها؟ دلّل على إجابتك.

# اتِّباعُ السلف الصّالح واقتفاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم

السلف نسبة إلى سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وقد نص عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "فإنه نعم السلف أنا لكِ". (١)

والخيرُ كلُّ الخير والسعادةُ كلُّ السعادة في اتِّباع ما كان عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام ومَن تبعهم بإحسان، وقد أخبر النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن افتراق هذه الأمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقةٍ، كلُّها في النَّار إلاَّ واحدة، قيل: مَن هي يا رسول الله ؟ قال: «هي الجماعة»، وقد مرَّ ذلك، ومرَّ أيضاً قولُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث العرباض بن سارية: «. . . فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وقال الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لن يصلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها».

وقال الإمام أحمد في أوّل اعتقاده: «أصولُ السنَّة عندنا التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكلُّ بدعةٍ فهي ضلالةٌ، وتركُ الخصومات والجلوسِ مع أصحاب الأهواء، وتركُ المراء والجدال والخصومات في الدِّين» (٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٠)

(٢) السنَّة للالكائي (١/ ١٥٦)

وقد أثنى اللهُ على مَن جاء بعد المهاجرين والأنصار، مستغفراً لهم سائلاً اللهَ ألاَّ يجعل في قلبه غِلاًّ للمؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيمَن نال مِن بعض الصحابة: «أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبُّوهم» (١).

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنَّهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَن كان منكم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم؛ فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم» (٢).

وقال أيضاً كما في سنن الدارمي: «اتَّبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم».

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يا معشر القرّاء! اسلكوا الطريق؛ فوالله! لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بيِّناً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً».

وعن عثمان بن حاضر، قال: «دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أَوْصني، فقال: نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع!».

(١) أخرجه مسلم

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٧)

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعليك بآثار من سلف وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها بالقول، فإن الأمر ينجلي حين ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم».

وعن ابن سيرين قال: «كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر».

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما الدين بالآثار».

وقال أيضا: وينبغي للرجل ألا يحك رأسه إلا بأثر».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليكم بأصحاب الآثار والسنن».

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك بالآثار وأهل الآثار؛ وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس ومنهم فاقتبس».

ولقد أحسن مَن قال:

دِيـنُ النَّبِـيِّ محمَّـد أخبـارُ ... نِعـم المطيَّـةُ للفتَـى آثـارُ
لا تـرْغبنَّ عـن الحـديث وأهلـه ... فـالرَّأْيُ ليـلٌ والحـديثُ نَهَـارُ
ولـرُبَّما جهـل الفَتَـى أثـرَ الهُـدى ... والشَّـمسُ بازغـةٌ لَهَـا أنـوارُ

وقال آخر وأحسن فيما قال:

الفقـهُ في الـدِّين بـالآثـار مقترنٌ ... فاشـغل زمانك في فقهٍ وفي أثرِ
فالشـغلُ بالفقه والآثار مرتفعٌ ... بقاصـد الله فوق الشَّـمس والقمرِ

# الأسئلة

س١: من هم سلف الأمّة الذين وجب علينا اتباعهم والاقتداء بهم؟

س٢: ما أصول السنة التي جاءت في أثر الإمام أحمد بن حنبل؟

س٣: اذكر بعض الآثار في الحث على الاقتداء بالسلف والاستغفار لهم.

س٤: لماذا حثَّ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على التأسي بأصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

# طاعة ولاة الأمور

## من هم ولاة الأمر؟

هم ولاة المسلمين من الإمام الأعظم إلى الأمراء والوزراء ونوابهم والقضاة إلى جميع من لهم ولاية عامة أو خاصة.

## أهمية ولاة الأمر وأنهم سلطان الله في الأرض:

أولو الأمر لهم مكانة علية ومنزلة رفيعة جليلة، منحهم الشارع إياها؛ ليتناسب مع قدرهم وعلو وظيفتهم ورفيع منصبهم وعظم مسؤوليتهم.

ومن الأمور التي حثَّ عليها الشرع المطهر وعظم ثوابها: الأمر بتعزير وتوقير وإجلال وتعظيم ولي الأمر وسلطان المسلمين.

فقد قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله: من عاد مريضا أو خرج غازيا أو **دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره** أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس» [1]

قال العلامة نور الدين السندي رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى: "...والمراد مضمونا على الله تعالى أن يدخله الجنة أو يرزقه الخير"

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: " من أَجلَّ سلطانَ الله أَجلَّه الله يوم القيامة ". [2]

وقال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ما مشى قوم شبرا إلى السلطان ليذلوه إلا أذلهم الله.

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦١٨)

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٣٧٥)

وقال طاووس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد.

## من صور إهانة السلطان:

وإهانة السلطان لها عدة صور:

**منها:** أن يسخر بأوامر السلطان، فإذا أمر بشيء قال: انظروا ماذا يقول؟

**ومنها:** إذا فعل السلطان شيئاً لا يُعجبُ هذا الإنسان. قال: انظروا ماذا يفعل؟

يريد أن يهون أمر السلطان على الناس؛ لأنه إذا هون أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، ولم يجتنبوا نهيه.

ولهذا فإن الذي يهين السلطان بنشر معايبه بين الناس وذمه والتشنيع عليه والتشهير به يكون عرضة لأن يهينه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه إذا أهان السلطان بمثل هذه الأمور؛ تمرد الناس عليه فعصوه، وحينئذٍ يكون هذا سبب شر فيهينه الله عَزَّوَجَلَّ.

فإن أهانه في الدنيا فقد أدرك عقوبته، وإن لم يهنه في الدنيا فإنه يستحق أن يهان في الآخرة والعياذ بالله؛ لأن كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق: ((من أهان السلطان أهانه الله))

## ومن صور توقيره وتعظيمه:

- حسن الخلق معه.
- والتلطف بالكلام، ويرحب به إذا لقيه وعند إقباله عليه.
- ويعامله بالبشاشة.
- وطلاقة الوجه.
- وظهور البشر.
- وحسن المودة.

وتأمل خطاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للملوك بعظيم الروم، كسرى ...، وهم كفار، فما ظنك بحاكم مسلم تعيش تحت كنفه ورعايته وتأمن على نفسك وعرضك ومالك وتنام قرير العين؟!

قال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم).

**تنبيه:**

ولا يلزم من توقيره وإكرامه أن نقول له أو نمدحه بما ليس فيه.

في صحيح البخاري: قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: «كنا نعدها نفاقا» اهـ

بل يذكر ويمدح بما يفعله من الخير ترغيبا له في الازدياد منه وتشجيعه على فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه.

**النهي عن سب ولي الأمر أو انتقاصه:**

إن الوقيعة في ولاة أمر المسلمين بالسب والثلب لمن أكبر الأسباب التي تفضي إلى الخروج عليهم، ذلك لأن السب هو الشرارة الأولى التي تهيج النفوس على الشر وتذهب بهيبة الولاة من قلوب الناس.

عن أنس بن مالك، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب»[(١)]

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أول نفاق المرء طعنه على إمامه).

قال أبو إسحاق السبيعي: (ما سب قوم أميرهم إلا حرموا خيره).

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٨)

**أدلة وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:**

دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع.

**أولا: الكتاب:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وَفَسَّرَ أَهْلُ اَلْعِلْمِ هَذِهِ اَلْآيَةَ بِتَفَاسِيرَ تَئُولُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ.

فأولو الأمر هم العلماء والأمراء، فيُسمع للعلماء ويُطاع فيما يبيِّنونه من أمور الدِّين، ويُسمع للأمراء ويُطاع فيما يأمرون به مِمَّا ليس معصيةً لله عَزَّوَجَلَّ، وقد رجَّح تفسيرَ وُلاة الأمر بما يشمل العلماء والأمراء القرطبيُّ وابنُ كثير في تفسيريهما.

**ثانياً: السنة:**

منها حديث يَزِيدِ بْنِ سَلَمَةَ الْجُعْفِيِّ حيث سأل رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأمراء يطلبون حَقَّهُمْ، ويمنعون حق الناس، فَقَالَ له رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ).[1]

ومنها حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ اَلَّذِي لَكُمْ).[2]

**والأثرة:** أن يستأثر السلطان بالثروة والمال دون رعيته ويمنعهم حقهم فيها، ومع ذلك انظر إلى الإرشاد النبوي الكريم حيث قال:( تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ) أي من السمع والطاعة.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٤)

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٧٢)

﴿وَتَسْأَلُونَ الله اَلَّذِي لَكُمْ﴾ ولا تخرجوا عليهم بل تطلبوا حقكم من الله سبحانه، ولأن الخروج عليهم مفسدته أعظم.

ومنها قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)(١)

**ثالثا: الآثار عن الصحابة الكرام:**

منها وصية عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا السُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قائلا له، (اِتَّقِ الله رَبَّك إِلَى يَوْمٍ تَلْقَاهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَأَطِعْ اَلْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَهَانَك فَاصْبِرْ).(٢)

ومنها قول ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا بُويِعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ اِبْنُ عُمَرَ فَقَالَ: (إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا).(٣)

وقد أجمع السلف على هذا الأصل العظيم، وخالفت فيه سائر الفرق وعلى رأسها في هذا العصر الحالي جماعة (الإخوان المجرمون، وتنظيم القاعدة، وداعش، والجماعة الإسلامية المقاتلة وغيرهم الكثير).

## مسألة: كيف تنعقد الولاية؟

تَنعقد الولاية بأحد أمورٍ أربعة:

**الأول**: النَّصُّ من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو نصَّ على أحدٍ بعينه فإنَّه يكون خليفةً بذلك، وقد قال بعضُ أهل العلم: إنَّ خلافةَ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تمَّتْ بذلك.

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٦)

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٥٤٤)

(٣) . رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٩٠)

**الثاني**: اتِّفاقُ أهلِ الحلِّ والعقد على تعيين خليفةٍ، ويدلُّ له اتِّفاقُ الصّحابةِ على اختيار أبي بكر للخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو اتِّفاقٌ مُستندٌ إلى نصوصٍ دالَّةٍ على أنَّه الأحقُّ بالخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الثالث**: أن يعهد الخليفةُ إلى رجلٍ يلي الخلافةَ مِن بعده، كما حصل مِن استخلاف أبي بكر لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

**الرابع**: أن يتغلَّب على النَّاس رجلٌ بالقهر والغلبة، فيستقرَّ له الأمرُ، كما حصل مِن انتزاعِ أبي العباس السَّفَّاح الخلافةَ مِن بني أُميَّةَ.

قال القرطبي: «فإن تغلَّب مَن له أهليَّةُ الإمامة وأخذها بالقهر والغلَبة، فقد قيل: إنَّ ذلك يكون طريقاً رابعاً، وقد سُئل سهل بن عبد الله التستري: ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو إمامٌ؟ قال: تُجيبُه وتُؤدِّي إليه ما يُطالبُك مِن حقِّه، ولا تُنكر فعالَه ولا تفرّ منه، وإذا ائْتمنك على سرٍّ مِن أمر الدِّين لم تُفشِه».

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٢٣٤) في قولِ عبد الله ابن عمرو: «أطِعْه في طاعةِ الله، واعْصِهِ في معصيةِ الله»

قال: «فيه دليلٌ لوجوب طاعةِ المتَوَلِّين للإمامة بالقهر مِن غير إجماعٍ ولا عهدٍ».

## مسألة: ما حق ولاة الأمر على الرعية؟

حقُّ وُلاة الأمر على الرَّعيَّة النُّصحُ لهم، ويكون النُّصحُ: بالسمع والطَّاعة لهم في المعروف، والدّعاءِ لهم، وترْكِ الخروج عليهم ولو كانوا جائرين

ومِن أدلَّة النُّصح لهم قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصيحةُ، قلنا: لِمَن؟ قال: لله ولِكتَابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم.

وروى الإمامُ مالك في الموطأ عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ الله يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا،

يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ الله أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْـمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ». ورواه أيضاً الإمامُ أحمد في مسنده، وهو حديثٌ صحيحٌ.

**مسألة: النصح لولي الأمر سراً**

ثمَّ إنَّ النَّصيحةَ لوُلاة الأمور وغيرِهم تكون سرًّا وبرفقٍ ولينٍ، ويدلُّ لذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ لموسى وهارون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه: ٤٣].

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «إنَّ الرِّفقَ لاَ يَكُونُ في شَيءٍ إلاَّ زَانَهُ، ولاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلاَّ شَانَه»(١) .

وعن عياض بن غُنْم عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ»(٢) .

وإذا خلا النُّصحُ من الرِّفق واللِّين وكان علانيةً فإنَّه يضرُّ ولا ينفعُ، ومِن المعلوم أنَّ أيَّ إنسانٍ إذا كان عنده نقصٌ يحبُّ أن يُنصح برفقٍ ولينٍ، وأن يكون ذلك سرًّا، فعليه أن يعامل النَّاسَ بمثل ما يحبُّ أن يعاملوه به.

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد والحاكم وابن أبي عاصم في السنَّة، قال الألبانيُّ في تخريجه: «فالحديثُ صحيحٌ بمجموع طرقه»

**مسألة من النصح لولاة الأمر الدعاء لهم وعدم الدعاء عليهم:**

مِن النُّصح للوُلاة الدعاءُ لهم وعدمُ الدعاء عليهم، وهي طريقةُ أهل السنَّة والجماعة.

فعن عوف بن مالك، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم..."الحديث (١)

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعيَّة (ص١٢٩): «ولهذا كان السَّلَفُ كالفُضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوةٌ مجابةٌ لدعونا بها للسلطان».

وقال الشيخ أبو محمد الحسن البربهاري في كتابه شرح السنَّة (ص١١٦): «وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو على السلطان فاعلم أنَّه صاحبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسلطان بالصّلاح فاعلم أنَّه صاحبُ سنَّةٍ إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كانت لي دعوةٌ ما جعلتُها إلاَّ في السلطان».

**مسألة في الصلاة خلف كلِّ إمامٍ مسلمٍ، براً كان أو فاجراً:**

اعلم أيها الطالب أن من محاسن عقيدة أهل السنة و الجماعة الدالة على حرصهم على جمع الكلمة أنهم يرون عدم الخروج على الولاة وإن كانوا ظلمة أو فجرة، ويرون الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، ونصحهم والدعاء لهم بالتوفيق والهداية ؛ ولأن الخروج عليهم فتنة تسفك فيها الدماء ولا طائل منها، متمثلين في ذلك بهدي السلف من الصحابة ومن بعدهم.

ومن الأدلة على الصلاة خلفهم ما أخرجه البخاري في "تاريخه" عن عبد الكريم البكاء أنه قال: "أدركتُ عشرة من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يصلي خلف أئمة

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨١)

الجور ويؤيد ذلك أيضًا حديث مسلم: "كيف أنت إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟ قال: قلتُ: فما تأمرني؟ قال: الصلاة لوقتها، فإنْ أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة). (١)

و قال الشافعي: صلى ابن عمر خلف الحجاج، وكفي به فاسقًا .(٢)

وَقَالَ أَحْمَد بن حَنْبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَأرى الصَّلَاة خلف كل بر وَفَاجِر وَقد صلى ابْن عمر خلف الْحجَّاج يَعْنِي الْجُمُعَة وَالْعِيدَيْن .(٣)

## مسألة: حكم من مات وليس في عنقه بيعة للسلطان:

اعلم أيها الطالب أن خلع البيعة، والخروج على حكام المسلمين من منهج الخوارج المارقين وهو مخالف للسنة والإجماع، ومن مات وليس في عنقه بيعة للحاكم مات ميتة جاهلية.

واعلم أن الصبر على ظلمه مع الحفاظ على الجماعة، خير من الخروج عليه لعظم مفسدة الفرقة، ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .قَالَ: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً). (٤)

## مسألة: هل يجوز الخروج على أئمة الظلم والجور؟

إذا حصل مِن وُلاة الأمر فسقٌ أو جَورٌ فلا يجوز الخروجُ عليهم؛ لأنَّه يترتَّب على الخروج عليهم مِنَ الفوضى والفساد أضعاف ما يحصل مِن الجور، ولا يجوز الخروجُ عليهم إلاَّ إذا حصل منهم كفرٌ واضحٌ بيِّنٌ، وقد دلَّ على ذلك سنَّةُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعملُ السلف الصالح.

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٦/ ١٨٨)

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصغير لابن الملقن(٦ / ٥٣٨)

(٣) العقيدة رواية أبي بكر الخلال ص ١٢٤

(٤) البخاري (٩/ ٤٧)، ومسلم (٣/ ١٤٧٧)

ومِن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَايَعَنَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ».

وروى مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

وقال الإمام أحمد في اعتقاده: «ولا يحلُّ قتالُ السلطان ولا الخروجُ عليه لأحدٍ مِن النَّاس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنَّة والطريق» (١).

## معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إلا أن تروا كُفرًا بَواحًا عِندَكُم فيه من اللّه برهانٌ"

لا يجوز الخروج عليه إلا في حال واحدة استثناها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: "إلا أن تَروا كُفرًا بَواحًا عِندَكُم فيه من الله برهانٌ ".(١)

**أولاً**: "**إلا أن تروا**": والرؤية إما بالعين أو بالقلب، الرؤيا بالعين بصرَّية وبالقلب علمية، بمعنى أننا لا نعمل بالظن، أو بالتقديرات، أو بالاحتمالات، بل لابدَّ أن نعلمَ علمَ اليقين.

(١) السنَّة للالكائي (١/ ١٦١)

**ثانياً**: **أن نرى كُفرًا لا فسوقاً فمثلاً**: الحاكم لو كان أفسق عباد الله عنده شرب خمر وغيره من المحرمات وهو فاسق، لكن لم يخرج من الإسلام، فإنه لا يجوز الخروج عليه، وإن فُسِّقَ لأنَّ مفسدة الخروج عليه أعظمُ بكثير من مفسدة معصيته التي هي خاصة به.

**ثالثاً**: قال "**بواحًا**": البواح يعني: الصريح، والأرض البواح: هي الواسعة التي ليس فيها شجر ولا مدر ولا جبل، بل هي واضحة للرؤية، لابدَّ أن يكون الكفر بواحاً ظاهرًا لا يشك فيه أحد، مثل أن يدعو إلى نَبذِ الشريعة، أو يدعو إلى ترك الصلاة وما أشبه ذلك من الكفر الواضح الذي لا يَحتَمِل التأويل، حتى إنه لا يجوز الخروج عليه حتى وإن كُنا نرى نحن أنه كفر وبعض الناس يرى أنه ليس بكفر، فإنه لا نجيز الخروج عليه؛ لأن هذا ليس بواحًا.

**رابعاً**: "**عندكم فيه من الله برهان** "، أي دليلٌ واضح وليس مجرد اجتهاد أو قياس، بل هو بيّنٌ واضح أنه كفر، فحينئذ يجوز الخروج.

# الأسئلة

س١: من هم أولو الأمر؟ وما أهميتهم؟

س٢: قارن بين صور إهانة السلطان وصور تعظيمه.

س٣: اذكر دليلا من القرءان ودليلا من السنة وأثرا عن السلف في وجوب طاعة ولاة الأمر.

س٤: كيف تنعقد ولاية الأمراء والحكام؟

س٥: ما حقُّ الولاة على الرعية؟ دلّل لما تقول.

س٦: تحدث باختصار عما يلي:

أ) طريقة نصح الولاة. ب) الدعاء للولاة والدعاء عليهم.

ج) الصلاة خلف الولاة. د) من مات وليس في عنقه بيعة.

# ذم الخوارج
# وبيان أوصافهم

## ذكر النصوص في ذم الخوارج وذكر شيء من أوصافهم:

لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان.

والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديما وحديثا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين، فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو رجل طعن على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟».

فأراد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قتله، فمنعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قتله وأخبر: «أن هذا وأصحابا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين».

وأمر في غير حديث بقتالهم، وبَيَّن فضلَ من قتلهم أو قتلوه.

ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد اجتهد

أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن كان بالمدينة ألَّا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .

ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولم يرضوا لحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كلمة حق أرادوا بها الباطل، فقاتلهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة.

وأحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخوارج كثيرة قد تبلغ حد التواتر: فمن ذلك:

عن أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، ثم قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم».

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن بعدي من أمتي قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه شر الخلق والخليقة».

وَعَن أبي غالبٍ رأى أَبُو أُمامةَ رؤوساً مَنْصُوبَةً عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: «كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْيل مَنْ قَتَلُوهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿يَوْمَ تبيَضُّ وُجوهٌ وتَسوَدُّ وُجوهٌ﴾ الْآيَةَ قِيلَ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ.

عن سلمة بن كهيل قال أخبرني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذين ساروا إلى الخوارج فقال عليٌّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (أيها الناس إني سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليست قراءتكم إلى قراءتهم شيئا ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيئا ولا صيامكم إلى صيامهم شيئا يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليست له ذراع على عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض أفتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله).

قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مر بنا على قنطرة قال فلما التقينا وعلى الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم ألقوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء قال فوحشوا برماحهم واستلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم.

قال وقتلوا بعضهم على بعضهم وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ التمسوا فيهم المخدج فلم يجدوا قال فقام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض فقال أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر وقال صدق الله وبلغ رسوله فقام إليه عبيدة السلماني فقال يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت هذا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف.

عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَذُكِرَ لَهُ الْخَوَارِجُ وَاجْتِهَادُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، قَالَ: «لَيْسَ هُمْ بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ».

فهذه جملة من الأحاديث والآثار في بيان حال الخوارج وذم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم ووصفهم بما هم عليه من الضلال والانحراف وما فيهم من الشر لأجل ذلك أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم وأخبر أن لمن قتلهم أجرا عند الله ولمن قتلوه كذلك فقال خير قتيل من قتلوه.

وقتلهم كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس من جنس قتال البغاة وقطاع الطرق وإنما هذا راجع إلى فساد دينهم ومروقهم من الإسلام.

وقال أيضا إن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالصبر على الحكام ويأمر بقتل أهل البدع.

وقال الحافظ ابن حجر إن قتال هؤلاء خير من قتال الكفار لأن في قتالهم المحافظة على رأس المال وقتال الكفار حرض على المكسب وعلى الربح.

# الأسئلة

س١: لماذا لا تنفع الخوارج عبادتُهم وطاعتهم؟

س٢: اذكر دليلا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآخر عن أصحابه في ذم الخوارج.

س٣: لَخِّص مما دَرَسْتَ أوصاف الخوارج.

س٤: ما حكم مَن قتل الخوارج أو قتلوه دلّل لما تقول.

س٥: متى خرج أول قرن للخوارج؟ وما الفتن التي فعلوها من خلال درسك؟

س٦: ما الحكمة من قتل الخوارج في نظر شيخ الإسلام ابن تيمية؟

# التحذير من البدع

## تَعْرِيفُ الْبِدْعَةِ وَبَيَانُ مَعْنَاهَا

البدعة في اللغة مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: مخترعها على غير مثال سابق، ويقال: ابتدع فلان بدعة؛ يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

**والابتداع على قسمين:** ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في الدين، وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف.

## أقسام البدع في الدين:

**القسم الأول:** بدع قولية اعتقادية؛ كأقوال واعتقادات الجهمية والمعتزلة والرافضة، وسائر الفرق الضالة.

**القسم الثاني:** بدع في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، **وهي أنواع:**

**النوع الأول:** ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياما غير مشروع، أو أعيادًا غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

**النوع الثاني:** ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كزيادة ركعة خامسة في الظهر أو العصر مثلاً.

**النوع الثالث:** ما يكون في صفة العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن السنة.

**النوع الرابع:** ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت يحتاج إلى دليل.

### حكم البدعة في الدين:

كل بدعة في الدين من أي نوع كانت فهي محرمة وضلالة؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد".

ولكن التحريم يتفاوت بحسب البدعة؛ فمنها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقربا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك؛ كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقادي؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للسنة، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

## تنبيه في تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة:

من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؛ فهو مخطئ ومخالف لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فإن كل بدعة ضلالة" لأن الرسول حكم على البدعة كلها بالضلالة، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه" وقولهم إنها أحدثت أشياء كجمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع؛ فليست محدثة، وقوله عمر: "نعمت البدعة"؛ يريد البدعة اللغوية لا الشرعية؛ لأن البدعة شرعا ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه، والتراويح قد صلاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ليالي، وتخلف عنهم في الأخير، خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة يصلونها متفرقين في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر خلف إمام واحد، وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل ؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأن يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوبا متفرقا، فجمعه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في مصحف واحد حفظا له، وكتابة الحديث -أيضا- لها أصل في الشرع؛ فقد أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابة بعض الأحاديث لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته في عهده أن يختلط بالقرآن، فلما توفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتفى المحذور.

**وقت ظهور البدع:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين؛ كما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال: "من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج، هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحديث الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت؛ زادت البدع وتنوعت".

**الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:**

١- **الجهل بأحكام الدين**: كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالما؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا".

٢- **اتباع الهوى**: من أعرض عن الكتاب والسنة؛ اتبع هواه؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾.

٣- **التعصب للآراء والرجال**: لأنه يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهذا شأن المتعصبين أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دُعوا إلى الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم.

٤- **التشبه بالكفار**: هو من أشد ما يوقع في البدع؛ كما في حديث أبي واقد الليثي؛ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر،

وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهو ذات أنواط. فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبُنَّ سنن من قبلكم".

**ثالثاً: موقف أهل السنة من المبتدعة ومنهجهم في الرد عليهم:**

**ما زال أهل السنة يردون على المبتدعة وينكرون بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذلك:**

١- عن أبي موسى الأشعري أنه قال لابن مسعود: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا. قال: وما هو؟ قال: إن عشت فستراه. قال: أريت في المسجد قوما حلقا جلوسا، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مئة! فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة! فيهللون مئة، فيقول: سبحوا مئة! فيسبحون مئة. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟! ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقه من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد. قال: فعدوا سيئاتكم؛ فأنا ضامن أن لا يضع من حسناتكم شيء، وَيْحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذا ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده؛ إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم". فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج.

٢- جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ فقال: من أين أحرم؟ فقال: من الميقات الذي وقت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحرم منه. فقال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه؟ فقال مالك: لا أرى ذلك. فقال ما تكره من ذلك؟ فقال: أكره عليك الفتنة. قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله؟! ".

**منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع:**

حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك، وردوا كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة في أصول الإيمان والعقيدة، وألفوا كتبا في ذلك؛ ككتاب "الاعتصام" للشاطبي، و"اقتضاء الصراط المستقيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب"إنكار الحوادث والبدع" لابن وضاح، و"الحوادث والبدع" للطرطوشي، كتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث" لأبي شامة.

**نماذج من البدع المعاصرة:**

البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن، وقلة العلم، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات، والتشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم؛ مصداقا لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم".

**ونذكر هنا بدعتين من البدع المعاصرة، وهي:**

١- الاحتفال بالمولد النبوي.

٢- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.

الاحتفال بالمولد النبوي في ربيع الأول مما سرى في المسلمين في هذا العصر وما سبقه من الأعصار من التشبه بالنصارى في الاحتفال بمولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فمنهم من يقيم

هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت، ويحضره جموع كثيرة من الأئمة المضلين ومن دهماء الناس وعوامهم.

والغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة وتشبها بالنصارى لا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات؛ كإنشاء القصائد التي فيها الغلو حقِّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وربما يعتقدون أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر احتفالاتهم، ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنغمة، وضرب الطبول والأذكار المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء، مما يسبب الفتنة، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام وإظهار الفرح؛ فإنه بدعة ضلالة، ولا أصل له في الكتاب والسنة والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة.

أما البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة منها:

الجهر بالنية للصلاة؛ بأن يقول: نويت أن أصلي لله كذا وكذا، والنية محلها القلب؛ فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها: الذكر الجماعي بعد الصلاة؛ لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا.

ومنها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها: إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين.

ومنها: الاحتفال بالمناسبات الدينية؛ كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية.

ومنها ما يفعل في شهر رجب؛ كالعمرة الرجبية، والتطوع بالصلاة والصيام فيه؛ فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور.

ومنها: تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام ويوم النصف من شعبان بصيام.

ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.

**ما يعامل به المبتدعة:**

تحرم زيارة المبتدع ومجالسته؛ إلا على وجه النصيحة له والإنكار عليه؛ لأن مخالطته تؤثر على مخالطه شرّاً، وتنشر عدواه إلى غيره.

ويجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البدع، وإلا فإنه يجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم منع البدع، والأخذ على أيدي المبتدعة، وردعهم عن شرهم؛ لأن خطرهم على الإسلام شديد.

ثم إنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعتهم، وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق؛ لأن في ذلك القضاء على الإسلام، وتشويه صورته.

**وختاما نقول:**

إن البدع بريد الكفر، وهي زيادة دين لم يشرعه الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة؛ لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية؛ فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقدها دينا يتقرب به إلى الله؛ فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن، وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة، والبدعة تباعد عن الله، وتوجب غضبه وعقابه، وتسبب زيغ القلوب وفسادها.

# الأسئلة

س١: عرف البدعة لغة وشرعا.

س٢: اذكر أقسام البدعة في الدين واضرب مثالا لكل منها؟

س٣: ما حكم البدع في الدين؟ وهل حكمها واحد أم يتفاوت؟ بين ذلك.

س٤: هل يوجد بدعة حسنة وبدعة سيئة في الدين؟ وضح إجابتك بتفنيد القول المخالف.

س٥: اذكر باختصار الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع.

س٦: اذكر موقفاً من مواقف أهل السنة في معاملتهم لأهل البدع، وما منهجهم في الرد على المبتدعة؟

س٧: في ضوء ما درست اذكر بعض أنواع البدع المعاصرة.

# الـــولاء والبـــراء

يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة الإسلامية أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها؛ فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم.

وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم؛ حيث يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو من دين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا في تحريم موالاة أهل الكتاب، وقال في تحريم موالاة الكفار عموما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ بل حرم موالاة الكفار، ولو كانوا أقرب الناس نسبا؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتى قالوا عن اليهود والنصارى: إنهم إخواننا!.

وكما حرم الله موالاة الكفار فقد أوجب موالاة المؤمنين ومحبتهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ

يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْـمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

### مظاهر موالاة الكفار:

١- التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرهما؛ لأنه يدل على محبة المتشبِّه للمتشبَّه به، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من تشبَّه بقوم؛ فهو منهم".

٢- الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْـمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلاّ الْـمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى الله أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ الله عَفُوّاً غَفُوراً﴾.

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس إلا عند الضرورة؛ كالعلاج، والتجارة، والتعلم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع.

٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم.

٥ – الاستعانة والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين.

عن أبي موسى الأشعري؛ قال: "قلت لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لي كاتب نصراني. قال: ما لك قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ بَعْضٍ﴾؟ ألا اتخذت حنيفا؟. قال: قلت: يا أمير المؤمنين! لي كتابته وله دينه! قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله".

٦- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بها أو حضورها، وقد فسر قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: من صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٧- مدحهم والإشادة بمدنيتهم وحضارتهم، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم؛ دون نظر إلى عقائدهم ودينهم الفاسد، ولا يفهم من ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب العسكرية؛ قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾.

٨- التسمي بأسمائهم؛ بحيث يسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية، ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن"، وبسبب تغيير الأسماء؛ فقد وجد جيل يحمل أسماء غربية، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة، ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

٩- الاستغفار لهم والترحم عليهم، وقد حرم الله ذلك بقوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

**مظاهر موالاة المؤمنين:**

١ – الهجرة إلى بلاد المسلمين، وهجر بلاد الكافرين، لأجل الفرار بالدين، والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى قيام الساعة، وقد تبرأ النبي من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين.

٢– مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون في دينهم ودنياهم: قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

٣– التألم لألمهم والسرور بسرورهم؛ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤– النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وقال: "المسلم أخو المسلم؛ لا يحقره، ولا يخذله، ولا يسلمه، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه"، وقال: "لا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تناجشوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا".

٥– احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ

يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢)﴾.

٦- أن يكون معهم في حال العسر والشدة والرخاء؛ بخلاف أهل النفاق، الذين يكونون مع المؤمنين في حالة اليسر والرخاء، ويتخلون عنهم في حال الشدة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ﴾.

٧- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم، وفي الحديث القدسي: "وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ".

٨- احترام حقوقهم فلا يبيع على بيعهم ولا يسوم على سومهم، ولا يخطب على خطبتهم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته"، وفي رواية: "ولا يسم على سومه".

٩- الرفق بضعفائهم؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا".

١٠ - الدعاء لهم والاستغفار لهم؛ قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ﴾.

**تنبيه:**

وأما قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْـمُقْسِطِينَ﴾ فمعناه أن من كف أذاه من الكفار، فلم يقاتل المسلمين، ولم يخرجهم من ديارهم؛ فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي، ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأن الله قال: ﴿تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

وقد جاءت أم أسماء تطلب صلتها وهي كافرة؛ فاستأذنت أسماء رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك، فقال لها: "صلي أمك".

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر، لأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيبا للكافر في الإسلام؛ فهما من وسائل الدعوة؛ بخلاف المودة والموالاة، فهما يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه، والرضى عنه، وذلك يسبب عدم دعوته إلى الإسلام.

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا يعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم؛ فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ استأجر ابن أريقط الليثي على الطريق وهو كافر، واستدان من بعض اليهود، وهذا من باب الشراء منهم بالثمن، وليس لهم علينا فيه فضل ومنة، وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم.

## أقسام الناس في الولاء والبراء:

**القسم الأول:** مَنْ يُحَبُّ محبةً خالصة لا معاداة معها، وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فتجب محبته أعظم من محبة النفس والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين، وصحابته الكرام، خصوصا الخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والمهاجرين، والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة، ثم التابعون، والقرون المفضلة سلف الأمة، وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة، ولا يبغض الصحابة والسلف من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج.

**القسم الثاني:** مَنْ يُبْغَضُ ويُعَادَي بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معها وهم الكفار الخلص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم.

# الأسئلة

س١: اذكر خمسة من مظاهر موالاة الكفار.

س٢: اذكر خمسة من مظاهر موالاة المؤمنين.

س٣: كيف توجه قوله تعالى﴿لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؟

س٤: بين أقسام الناس من حيث الولاء والبراء.

# الأولياء والولاية في ميزان الشريعة

الناس أمام الله بين ولي وبين عدو لا ثالث لهما وكل منا يتمنى أن يكون من أوليائه.

فيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يحكي عن ربه سبحانه وتعالى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ) فإضافة الولي هنا إلى نفسه.

## تعريف الولـــــيّ.

لئلا يختلف الناس في تعريف الوليّ، تولى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفسه تعريف الولي: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس].

وصف اللهُ تعالى الوليَّ بوصفين اثنين وهو المؤمن التقي؛ والمؤمن التقي هو الذي يخاف الله ويراقبه ويعظمه ويعظم تعاليمه وشرعه، ويعظم رسوله ويوقره ويتبع سنته، ويقف عند حدوده.

## تعريف الولاية:

والوَلاية بفتح الواو هي المحبة، أمّا الوِلاية بكسر الواو فهي السلطانٌ.

والوَلاية أمر مكتسب ليست كالنبوة؛ فالنبوة بالاصطفاء؛ فالله يصطفي من شاء من عباده ليكون نبيا رسولا واسطة بينه وبين عباده، في التبليغ والتعليم والهداية، أمّا الولاية فأمر مكتسب.

## كيف تكتسب الولاية؟

يقول تعالى في الحديث القدسي:(وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن أداء ما افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ). فأول خطوة لِتسيرَ إلى الله وتكونَ وليّا لله تؤدي ما افترضه الله عليك.

وفرائض الله فعل وترك؛ فعل ما أوجبه الله عليك بجميع ألوانه، وترك ما حرمه الله عليك.

ثم قال: (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) فتبدأ في الإكثار من النوافل وإذا أكثر العبد من النوافل أحبه الله؛ والنوافل تشمل نوافل الصلاة، ونوافل الصيام، ونوافل الإنفاق والحج والعمرة وجميع ما يحبه الله ويرضاه وليس من الواجبات.

عند ذلك يقول الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ إذا أكثر من النوافل (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا). **كيف ذلك؟**

أي يوفقه الله توفيقا خاصا بألا يسمع إلا ما يرضي رب العالمين، فلا يستمع إلى ما حرمه الله، ولا ينظر ولا يطلق عينيه إلا في مرضاة الله؛ فيغض بصره عما يبغضه الله فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش.

ولا يمد يده إلا في مرضاة الله تعالى فيبطش ويصرع ويجاهد ويقاتل في سبيل الله.

ولا يمشي إلا في مرضاة الله ويكون موفقا في جميع حركاته وسكناته لشدة المراقبة وشدة المحبة.

ويحب الله محبة صادقة، ومحبة الله تعالى روح الإيمان، فمن رزقه الله محبته فأحبه وأحب شرعه وأحب نبيه وأحب ما جاء به نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محبة صادقة، وراقب الله سرا وعلنا، و خشي الله في الخلوة و المجامع، صار وليا صادقا من أولياء الله تعالى.

ثم قال (وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ) إذا وصل إلى هذه الدرجة صار لا يطلب من الله طلبا إلا ويعطى ولا يستعيذ إلا ويعاذ.

والولاية تكتسب بهذه الطريقة وليست أمرا موروثا، فلا يوجد في الإسلام بيت وليّ أو قبيلة أولياء أو دولة أولياء، حتى يكون كل من ينتسب إليهم وليّا من أولياء الله تعالى،

سواء امتثل أوامر الله أم لم يمتثل، آمن أم لم يؤمن، عمل صالحا أم لم يعمل، هذا أمر لا يقره الإسلام.

قد يكون الرجل كافرا ويكون الولد وليا، فلا عبرة إلى أصل الإنسان وفصله، فكبار الصحابة آباؤهم ماتوا في الجاهلية وهم من كبار أولياء الله تعالى.

ولا فرق بين الولي وبين النبي من حيث المعنى بل الأنبياء من كبار الأولياء، وأولو العزم من الرسل و خاتمهم و أفضلهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طليعة الأولياء، فأولئك هم الأولياء حقا ثم من يتبعهم و يعمل بسنتهم و يسلك منهجهم.

ولن نصل إلى مكانة الأولياء والأنبياء والصالحين إلا بالعلم والعمل، والعلم قبل القول والعمل.

لا بد أن يرفع الإنسان رأسه ليتعلم ما جاء به محمد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يصير العبد وليا لله وهو جاهل بما جاء به محمد رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. إذا لا بد من العلم.

والعلم الذي ينفعك عند الله وتصير به وليا من أولياء الله تعالى هو العلم الشرعي علم الكتاب والسنة.

واحذر أن تبقى جاهلا عما جاء به رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فيجب وجوبا عينيا على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم العلمَ الضروريَّ، فدون هذا العلم لن تكون وليّا من أولياء الله إن أولياؤه إلا المتقون.

والتقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، فإذا كنت لا تعلم المأمور به والمنهي عنه فكيف تكون وليا لله؟ فلم يتخذ الله وليا جاهلا؛ لأن الجاهل لا يعلم ما يقربه إلى الله وما يبعده عن الله.

فمن كان مؤمناً تقياً غير جاهلٍ كان ولياً سواءٌ أشهره العامة، أم كان خفياً عن الناس لا يحب أن يظهر.

ومن الأولياء من يعطيه الله كرامة محسوسة، يشهدها بنفسه ويشهدها الناس، ومن الناس من يجعل الله كرامته زيادة إيمانه وتقواه، وهي أعظم من الكرامة الأولى الحسية؛ لأنها أنفع للعبد؛ فالأولى سببٌ لزيادة الإيمان والتقوى، وأما زيادة الإيمان والتقوى فهي الغاية.

والكرامات إما أن تكون في العلوم والمكاشفات، وإما أن تكون في ظهور التأثيرات والقدرات، فأما الأول كأن يكشف للإنسان عن شيء لا يعلمه غيره، كما ذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يخطب على المنبر، فقال: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ، فتعجبوا من ذلك، فكان الأمر أن أحد القادة حاصره أعداؤه، فكشف لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر، فخاطبه، فسمعه القائد فانحاز إلى الجبل، فهذا توجيه من عمر من مكانٍ بعيد، فسمعه وليس في ذلك الوقت هواتف هوائية ولا سلكية ولكنها قدرة الله عز وجل، هذه كرامة في المكاشفات؛ كشف الله له ما لم يكن لغيره.

ومن ذلك أيضاً الكرامة في القدرة؛ ومن ذلك ما يذكر في غزوات سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يغزو الفرس، فيفتح الله عليه بلادهم بلداً بعد بلد، حتى وصل إلى نهر دجلة، فلما وصل إلى النهر، وجد الفُرس أغرقوا السفن، وكسروا الجسور، وهربوا إلى الجانب الشرقي من النهر.

فتوقف سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لينظر ماذا يصنع؟ فجاء سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان ذا خبرة في أحوال الفرس، وما يصنعونه عند القتال، فاستشاره سعدٌ ما يصنع؟

فقال له: يا سعد ليس هناك شيء يمكن أن نصنعه إلا أن ننظر في الجيش، هل عندهم من الإيمان والتقوى ما يؤهلهم بالنصر أو لا فدعني أسبر القوم، وأنظر حالهم، فأمهله

سعد، فجعل يذهب إلى الجيش، ويتفقد أحوالهم، وينظر أعمالهم، فوجدهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كل ليل يبيتون لربهم سجداً وقياماً، وفي النهار يصلحون أحوالهم، ويستعدون للقتال، فرجع بعد ثلاثٍ إلى سعد بن أبي وقاص، وأخبره الخبر، وقال: إن قوم موسى ليسوا أحق بالنصر منا، فقد فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من فرعون وقومه، ونحن سوف نعبر هذا النهر بإذن الله، فأذن سعدٌ رضي الله عنه بالرحيل والتقدم إلى النهر، وقال: إني مكبرٌ ثلاثاً، فإذا كبرت الثالثة، فسموا، واعبروا، ففعلوا، فجعلوا يدخلون الماء كأنما يمشون على الصفا خيلهم ورجلهم وإبلهم حتى عبروا النهر، وهو يجري يقذف بزبده.

فلما رآهم الفرس قالوا: إنكم لا تقاتلون إنساً، إنما تقاتلون جناً، فهربوا من المدائن وهي عاصمتهم حتى دخلها المسلمون وفتح الله عليهم، فهذه كرامة قدروا على أمرٍ لا يقدر عليه البشر.

وتكون الكرامة في العلم بأن يفتح الله على الإنسان من العلم ما لا يفتحه على غيره، ومن هؤلاء فيما نظن ما فتح الله به على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من العلم بالعظيم العلم بالنقل والعلم بالعقل.

ومن الكرامات ما حصل لمريم عليها السلام حين حملت بعيسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءها المخاض إلى جذع النخلة، فقالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا، فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا.

قال: هزي إليك، وهي امرأة نفساء تهز بجذع النخلة فيهتز فرعها، ومن المعلوم أن هز جذع النخلة لا يهتز به فرعها؛ لكنه اهتز وتساقط منه الرطب، هذا من آيات الله، وهو من كرامة مريم عليها السلام.

**الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية على يد المشعوذين:**

المعجزة هي ما يُجرِي الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم به، ويؤيدهم بها سبحانه؛ كانشقاق القمر، ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة الرسول على الإطلاق، وكحنين الجذع ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك.

وأما الكرامة فهي ما يجري الله على أيدي أوليائه المؤمنين من خوارق العادات، كالعلم والقدرة، وغير ذلك، كالظلة التي وقعت على أسيد بن الحضير حين قراءته القرآن، وشرط كونها كرامة أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة مستقيمًا على الإيمان ومتابعة الشريعة، فإن كان خلاف ذلك فالجاري على يده من الخوارق يكون من الأحوال الشيطانية.

**وعدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم؛ لأن الكرامة إنما تقع لأسباب:**

**منها**: تقوية إيمان العبد وتثبيته؛ ولهذا لم ير كثير من الصحابة كراماتٍ؛ لقوة إيمانهم وكمال يقينهم.

**ومنها**: إقامة الحجة على العدو كما جرى لأبي إدريس الخولاني لما ألقاه الأسود العنسي في النار فأنجاه الله من ذلك.

وقد تكون الكرامة ابتلاء فيسعد بها قومٌ ويشقى بها آخرون، وقد يسعد بها صاحبها إن شكر، وقد يهلك إن أعجب ولم يستقم.

# الأسئلة

س١: عرف الولي والولاية في ضوء ما درستَ.

س٢: ما الأعمال التي يكتسب بها الشخص ولاية الله سبحانه وتعالى؟

س٣: هل يُعطى الأولياء كراماتٍ؟ تحدث عنها مع ذكرِ أنواعها إنْ وجدتْ.

س٤: ما الفرق بين المعجزات والكرامات وخرافات المشعوذين؟

# المصادر والمراجع


- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داوود
- سنن الترمذي
- صحيح ابن حبان
- فتح الباري لابن رجب
- التوضيح لشرح الجامع الصغير لابن الملقن
- مصنف ابن أبي شيبة
- السنة لابن أبي عاصم
- صحيح الجامع الصغير وزيادته
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
- السنّة للالكائي
- الكفاية للخطيب
- المعجم الكبير للطبري
- الجَامعُ لأحْكامِ القرْآن للقرْطبِيِّ
- تدريب الراوي
- التمهيد لابن عبد البر
- العقيدة الواسطية
- أصول السنة
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى
- الشريعة للآجري

- جامع بيان العلم وفضله
- مسند الإمام أحمد
- الإصابة في تمييز الصحابة
- إعلام الموقعين
- تهذيب اللغة
- بيان تلبيس الجهمية
- الإبانة
- خلق أفعال العباد
- الأسماء والصفات للبيهقي
- التوضيح لشرح الجامع الصغير لابن الملقن
- العقيدة رواية أبي بكر الخلال
- مصنف ابن أبي شيبة
- السنة لابن أبي عاصم
- القواعد المثلى لابن عثيمين

# المحتويات

الحكومة الليبية المؤقتة
LIBYAN INTERIM GOVERNMENT

وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
GENERAL CENTER FOR EDUCATION CURRICULUM AND RESEARCH STUDIES

التاريخ : 2018 ,09 ,10
الرقم الإشاري : 2018 .30 .264

**السيد المحترم: رئيس مجلس الإدارة بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية**

**بداية لكم ولكل العاملين معكم أصدق التحايا سائلين العلي القدير لنا ولكم التوفيق و السداد لخدمة البلاد والعباد.**

**بالإشارة** إلى كتابكم رقم 1439/10/20 هجري ـ الموافق: 2018/07/04 ميلادي بشأن اعتماد المناهج التي تدرس بالمعاهد الدينية التابعة للحكومة الليبية المؤقتة من قبل المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية وبناء على تأشيرة السيد وكيل وزارة التعليم بالإجراء، وإلى كتابنا رقم 2018.5.239 المؤرخ في 2018/08/28 ميلادي الموجه للسيد وكيل وزارة التعليم بشأن مخاطبتكم لمعالجة الملاحظات الواردة في خلاصة عمل اللجنة المكلفة بالمراجعة، وعلى كتاب السيد مدير الادارة العامة للمعاهد الدينية رقم أ.م.د 2018/200/2377 المؤرخ في 1439/12/26 هجري الموافق :2018/09/06 ميلادي بشأن إنجاز التصليحات والتصويبات.

**عليه** لامانع من اعتماد المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمعاهد الدينية التابعة لهيئتكم الموقرة و التي تم مراجعتها من قبل اللجنة المختصة وفق كتاب السيد مدير إدارة المناهج رقم 2018.7.263 المؤرخ في 2018/09/10 ميلادي، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ ومعالجة الملاحظات الواردة بالتقرير الفني المرفق قبل أنجاز أي أعمال تتعلق بالتدريس أو بطباعة الكتب.

**تفضلوا بالاستلام**
**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**محمد علي المهشهش**

**مدير عام مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية**

LIBYAN INTERIM GOVERNMENT
الحكومة الليبية المؤقتة
المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

صورة الى
- السيد معالي وزير التعليم
- السيد وكيل وزارة التعليم
- السيد / مدير إدارة المناهج
- السيد / مدير لادارة الكتاب المدرسي والمطابع
- الملف الدوري العام

COU.MANG@MINISTRYOFEDUCATION.LY